http://www.almesryoon.com/ShowDetailsC.asp?NewID=١٠&Part=١&Page=٣٩٣٢٩

الفاتيكان والإسلام (١)

بقلم : د. محمد عمارة : بتاريخ ٢٩ - ٩ - ٢٠٠٧

عندما انتخب البابا يوحنا بولص الثاني [١٩٢١ ـ ٢٠٠٥م] بابا للفاتيكان، وحبراً أعظم للكنيسة الكاثوليكية ـ أكبر كنائس النصرانية (١.١ مليار) ـ وأطل على رعيته من شرفة كنيسة القديس بطرس ـ في ١٦-١٠-١٩٧٨م ـ أعلن "أن المسيح هو الحل".. وسعى وراء "تنصير الثقافة".. وذلك لمواجهة الواقع المسيحي الغربي الذي همشت فيه العلمانية المسيحية ، حتى لقد جعلت الذين يؤمنون ـ في أوروبا ـ بوجود إله لا يتجاوزن ١٤% من السكان.. والذين يذهبون إلى القداس لا يتجاوزون ١٠%، وهم في فرنسا ـ أكبر بلاد الكاثوليكية الأوروبية ـ لا يتجاوزون ٥% .. أي أقل من تعداد المسلمين الفرنسيين!!..

وفي مواجهة هذا الواقع ساد في الفاتيكان اتجاه يدعو إلى مقاومة حظر انقراض المسيحية والمسيحيين!.

ـ وعلى مستوى العلاقات الخارجية للفاتيكان نشط البابا وكنيسته على عدة جبهات ، منها:

١ـ الانخراط النشط مع أمريكا والغرب الرأسمالي في الحرب الباردة ضد الشيوعية والمعسكر الاشتراكي .. تلك الحرب التي وصفوها بأنها "معركة من أجل الاستيلاء على عقول البشر".

وفي إطار العمل على هذه "الجبهة" زار البابا وطنه بولندا ١٩٧٩م .. وحرك نقابة العمال ـ "التضامن" ـ بزعامة "ليخ فاليسا" ضد الشيوعية وحكومتها .. وعمل على إيقاظ القومية السلافية في أوروبا الشرقية .. كما كان تشجيعه لـ "فالكلاف هافل" والمنشقين على الشيوعية في تشيكوسلوفاكيا جزءا من الحرب الباردة الغربية ضد الشيوعية .. ويومها حذر رئيس الاستخبارات السوفييتية (كي . جي . بي) "يوري أندروبوف" الزعماء الشيوعيين البولنديين من أنهم قد ارتكبوا خطأ فادحاً حين سمحوا للبابا بالعودة إلى وطنه زائراً !

ـ وفي ١٩٩١م امتدح البابا رأسمالية السوق الحرة، وأعلن "أنه على مستوى الأمم المنفردة والعلاقات الدولية، تعتبر السوق الحرة أكثر الأدوات فاعلية لاستخدام الموارد، والاستجابة للحاجات بفاعلية".. وأقر "بالدور الشرعي للربح كمؤشر على أن شركة أعمال ما تقوم بعملها جيداً.." .. وحارب "لا هوت التحرير" وقساوسته ـ في أمريكا اللاتينية ـ أولئك الذين أرادوا إعطاء "بعد اجتماعي تقدمي" للمسيحية والإنجيل..

ـ وفي إطار دور الفاتيكان في قيادة "الجبهة الدينية" في الحرب الباردة، كانت قد صدرت قرارات المجمع الفاتيكاني في ستينيات القرن العشرين ، لجذب المسلمين تحت لافتات الحوار الكاثوليكي مع غير المسيحيين.. وتبرئة اليهود المعاصرين من دم المسيح!..

٢ـ وعلى جبهة التقرب من اليهود ـ خضوعاً للابتزاز الصهيوني .. واتساقاً مع تحالف الكنيسة الكاثوليكية مع الإمبريالية الأمريكية، والمسيحية البروتستانتية (المسيحية الصهيونية) ـ ولدور اليهود في الحرب الباردة ضد الشيوعية .. بدأ الفاتيكان التوجهات التي سميت "زرع المسيح في إسرائيل" ! .. والحديث عنه باعتباره يهودياً!..

كما أعلن البابا يوحنا بولص الثاني بمناسبة "سنة الفداء" ـ في ١٩٨٤/٤/٢٠م ـ أن القدس هي شعار الوطن اليهودي ! فقال: "منذ عهد داود، الذي جعل أورشليم عاصمة لمملكته، ومن بعده ابنه سليمان الذي أقام الهيكل، ظلت أورشليم موضع الحب العميق في وجدان اليهود، الذين لم ينسوا ذكرها على مر الأيام ، وظلت قلوبهم عالقة بها كل يوم، وهم يرون المدينة شعاراً لوطنهم"!

ـ وكان البابا يوحنا بولص الثاني أول بابا كاثوليكي يزور كنيساً يهودياً ـ كنيس روما القديم ـ ١٩٨٦م..

ـ وفي ١٩٩٣م أقام الفاتيكان العلاقات الدبلوماسية مع الدولة الصهيونية .. وجاء في مقدمة المعاهدة التي عقدت في ٣١-١٢-١٩٩٣م بين الفاتيكان وإسرائيل النص على "العلاقات الفريدة بين الكاثوليكية والشعب اليهودي"! .. بما يتضمنه هذا النص من "إلزام ديني" حتى للكاثوليك العرب بهذه العلاقة الفريدة مع الكيان الصهيوني !!..

ـ وفي مارس ٢٠٠٠م زار البابا إسرائيل .. وقدم اعتذاراً وندماً ـ غير مسبوقين من الحبر الأعظم المعصوم ! ـ لليهود عما ارتكبته الكاثوليكية في حقهم ـ بسبب المعاداة المسيحية للسامية ـ وكتب بذلك الاعتذار والندم "مذكرة" وضعها في شق بالحائط الغربي ـ حائط المبكي ـ بالقدس ، دعا فيها إلى الصفح عن الكنيسة الكاثوليكية للخطايا التي ارتكبتها في حق اليهود! ..

ـ وفي ٢٠٠٤م استقبل البابا كبار حاخامات اليهود في الفاتيكان .. وقال في حضرة كبير الحاخامات لطائفة اليهود الغربيين في إسرائيل "مائير لاو" : "حيثما ذهبت أقول دائما: إن علينا ـ بني البشر ـ أن نهتم ونرعى أجيال المستقبل من إخوتنا الكبار، اليهود" ! ..فوصف اليهود بأنهم "الإخوة الكبار"! ..

٣ ـ كذلك قدّم البابا اعتذاراً للبروتستانت، بسبب دور الكنيسة الكاثوليكية في حروب مرحلة ما بعد الإصلاح الديني ـ الحروب الدينية الكاثوليكية ـ البروتستانتية [١٥٦٢ ـ ١٦٢٩م].

٤ـ وفي ٢٠٠٤م قدّم البابا اعتذاراً للصينيين عن حالات الظلم التي ارتكبتها الكنيسة في الصين .

٥ ـ كما قدّم اعتذاراً للعالم كله عن الغطرسة الكنسية ، كما في "مسألة تأديب "جاليليو" [١٥٦٤ – ١٦٤٢م] ، واضطهاد الفلاسفة والعلماء بواسطة محاكم التفتيش .

٦ ـ وحدهم المسلمون ـ ومعهم الأفارقة والهنود الحمر ـ الذين لم يقدم البابا لهم أي اعتذار .. لا عن الحروب الصليبية التي دامت حملاتها قرنين من الزمان [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ/١٠٩٦ ـ ١٢٩١م] ، ولا عن تحالف الكنيسة مع الإمبريالية الغربية في الاستعمار لعالم الإسلام .. ودورها في تنصير المسلمين .. وفي النهب والتدمير لإفريقيا عبر خمسة قرون .. وفي الإبادة لسكان وحضارات أمريكا وأستراليا ونيوزيلاندا .

ـ ولقد زار البابا يوحنا بولس الثاني مصر وسوريا ٢٠٠٠م.. وفى مصر منعه رهبان دير سانت كاترين فى سيناء ـ وهم من الروم الأرثوذكس ـ من دخول الدير للصلاة لأنه بنظرهم غير مسيحي ! فصلى فى الشارع أمام الدير! .. بينما استقبله شيخ الأزهر بالمطار .. وفتح له أبواب مشيخة الأزهر الشريف .

وعندما زار سوريا صحبه الرئيس بشار الأسد إلى داخل المسجد الأموي ، فزار قبر النبي يحي صلى الله عليه وسلم "يوحنا المعمدان" .. ويومئذ رفض البابا زيارة قبر صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ـ ٥٨٩هـ / ١١٣٧ . ١١٩٣ م] وهو فى حرم المسجد الأموي ، وذلك حتى لا تكون زيارته هذه إشارة اعتذار للمسلمين عن الحروب الصليبية !!

وفى عهد بابوية يوحنا بولس الثاني [١٩٧٨ . ٢٠٠٥م] تم تعيين جميع الكرادلة فى الكنيسة الكاثوليكية من جديد .. وتكونت " أرثوذكسية كاثوليكية جديدة" داخل الكنيسة .. وساد تيار الخوف من الإبداع" .. وكان الكاردينال الألماني "جوزيف راتزينجر" هو المسئول عن قيادة هذا التيار

فقد تولى على امتداد ربع قرن . من ١٩٨١م حتى انتخابه بابا (بنديكتوس السادس عشر) فى أبريل ٢٠٠٥م . منصب "فرض النقاء العقائدي ، الذي هو امتداد لمنصب "المفتش الأكبر" الذي هو امتداد "لمحاكم التفتيش" .. وتولى عمادة كلية الكاردينالات .

وبتوجيه منه "وتحت قيادته" ضيقت "لجنة الكرادلة لحماية مبادئ الدين" حدود الانشقاق المسموح به .. وتم استدعاء من شك فى أنهم يقوضون الدين إلى روما للخضوع للمساءلة .. وأعلن أن عشرة من الكرادلة لم يعودوا صالحين لتعليم الطلاب الكاثوليك ، وأمر آخرون بمراجعة كتبهم !.

. وفى ٢٠٠٠م صاغ الكاردينال "راتزينجر" وثيقة "المسيح المهيمن" التي أعلنها البابا يوحنا بولص الثاني .. والتي أعلن فيها على الملأ "أن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية هي الكنيسة الوحيدة الحقيقية ليسوع المسيح .. وأن الخلاص للكاثوليك دون سواهم" ، وهى وثيقة معادية للتعددية الدينية حتى في إطار المسيحية !! .

كما عرف عن الكاردينال "راتزينجر" أنه يؤمن بكنيسة أصولية من الملتزمين وليس "بكنيسة شعبية" تضم غير الملتزمين من ذوي الأصول المسيحية.

****

الفاتيكان والإسلام (٢)

بقلم : د. محمد عمارة : بتاريخ ٣٠ - ٩ - ٢٠٠٧

بموت البابا يوحنا بولص الثاني . فى أبريل ٢٠٠٥م . فقد معظم كبار الرسميين فى الفاتيكان وظائفهم ، ولم يبق سوى القليلين ، ومنهم :

١ . الياور " الكاردينال أفسباني إدواردو" ، الذي أعلن نبأ وفاة البابا .. وقام بواجبات المدير الانتقالي.

٢ . والكاردينال "جوزيف راتزينجر" ، الذي ألقى العظة وتلا قصة حياة البابا الراحل فى الجنازة.

وعند انتخابه بابا . بنديكتوس السادس عشر . كان اختياره لهذا الاسم ذا دلالة على توجهه الفكري .. فبنديكت الرابع عشر [١٧٤٠ – ١٧٥٨ م] كان هو البابا المعادى للعقلانية وللتنوير !! وبنديكت الخامس [٤٨٠ . ٥٤٧م] كان الراهب والبابا الذي وضع أسس الرهبنة الغربية التي ضمنت تجذر المسيحية في الغرب .. والمتبعة حتى الآن .

ـ وفي ٢٠٠٤م كان البابا بنديكتوس السادس عشر . قبل توليه البابوية .. ومن موقع الرجل القوي في الفاتيكان - قد أدلى بتصريح أعرب فيه عن مناهضته انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوربي ، لأنها دولة مسلمة !! .

. وفى وصف جنازة البابا يوحنا بولص الثاني . أبريل ٢٠٠٥ م . تحدثت مجلة "نيوزويك" الأمريكية في عدد ١٩-٤-٢٠٠٥م عن أن المطلوب : "بابا يواجه الإسلام ، لأن الإرهاب العالمي . [الإسلام] يجعل مشكلات شيوعية الكتلة الشرقية بحداثة التلفزيون الأبيض والأسود! وسيتطلب ظهور الإسلام كقوة . فى شكليه الأصولي والمعاصر . حبرا أعظم يتمتع بمعرفة لاهوتية وبدبلوماسية رفيعة..

إن على البابا الجديد أن يتعامل مع التحدي الإسلامي فى قلب أوروبا، حيث يشكل المهاجرون المسلمون ونسلهم الآن قوة اجتماعية ودينية جديدة لم يكن على الكنيسة أن تواجهها من قبل" . !

وبهذا الإعلان عبرت "النيوزويك" عن المهام الجديدة للبابا الجديد فى المرحلة الجديدة .. فدور البابا السابق فى الحرب على الشيوعية لا يقارن بالدور المطلوب من البابا الجديد فى الحرب على الإسلام !!

. وعقب تولى الكاردينال "جوزيف راتزينجر" للبابوية . البابا بنديكتوس السادس عشر . :

١ـ ألغى لجنة "حوار الأديان" وسماها "حوار الثقافات" !!. وذلك تطبيقا لوثيقة "المسيح المهيمن"، الرافضة لوجود ديانات حقيقية غير الكاثوليكية !

٢. كما ألغى صدور مجلة "إسلامو كريستيانا"!

وعند استقباله لممثلين مسلمين فى مدينة "كولونيا" ـ الألمانية . قال لهم : "إن على المسلمين نزع ما فى قلوبهم من حقد، ومواجهة كل مظاهر التعصب، وما يمكن أن يصدر عنهم من عنف"!!

.

. كما استقبل . فى سبتمبر ٢٠٠٥م . الصحفية الإيطالية "أوريانا فالاشي"ـ التي اشتهرت بكتاباتها العنيفة والعنصرية والحاقدة ضد الإسلام والمسلمين ! .

. وفى ١٨ – ٤ -٢٠٠٦ م نشرت "لوموند" . الفرنسية . مقالا للكاتب "هنرى تنك"، تحدث فيه عن "انشغال البابا بتقدم الإسلام" ، جاء فيه على لسان البابا : "إن الإسلام ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية .. لا ينتمي إلى الوحي نفسه الذي تنتمي إليه اليهودية والمسيحية.." .

. كما ألف . بالاشتراك مع الكاتب الإيطالي "بيرا" . كتابا عنوانه : (بلا جذور .الغرب . النسبية . الإسلام والمسيحية) ، أعلن فيه عن مخاوفه .. وأهمها ثلاثة مخاوف :

أولها : تراجع معدلات المواليد فى أوروبا المسيحية .. وأن عدة شعوب . خصوصا الألمان والإيطاليين والأسبان . ربما لا تعد موجودة قبل نهاية القرن الحالي أو تصبح أقليات داخل دولها .

وثانيها : إن الذين سيحلون محل هذه الشعوب المسيحية الأوروبية المنقرضة هم المهاجرون المسلمون من إفريقيا والعالم العربي .. الأمر الذي يبعث على القلق من احتمال أن تصبح أوروبا جزءا من دار الإسلام فى القرن الحادي والعشرين.

وثالثها : تحول مسيحية غالبية الأوروبيين إلى مجرد انتماء لأسر كانت مسيحية فى يوم من الأيام!.

ـ أما على جبهة علاقة البابا بنديكتوس السادس عشر باليهود ، فقد سار على الطريق الذي سبق للفاتيكان السير فيه : التقرب لليهود .. والاستجابة لابتزازهم .. طريق "زرع المسيح فى إسرائيل" بدلاً من السعي لاعتراف اليهود بالمسيحية والمسيح !! ..

ويبدو أن الحبر الأعظم للكاثوليكية ـ وله تاريخ فى الجندية بالجيش النازي ـ يدرك احتمالات الابتزاز اليهودي له بسبب هذا التاريخ .. فرأيناه يتحدث عن اليهود باعتبارهم "إخوتنا الأعزاء". كما سبق وتحدث عنهم سلفه باعتبارهم "إخوتنا الكبار" !ـ بل لقد بلغ الأمر الحد الذي جعل هذا البابا ـ بنديكتوس السادس عشر ـ عندما كتب كتابا عن السيدة مريم ـ عليها السلام ـ أن جعل عنوانه: [ابنة صهيون]!!!.

وإذا كان بعض "الواهمين" أو "الجاهلين" أو "المخدوعين" بحوارات الفاتيكان الدينية مع المسلمين، قد صدم بهذا الموقف البابوي من الإسلام ، فإن هذا الموقف الفاتيكانى لم يخرج عن كونه التطبيق لوثيقة "هيمنة المسيح" ، التي تحصر الدين السماوي ـ ومن ثم الخلاص ـ في الكاثوليكية وحدها.

فالحوار الفاتيكانى مع المسلمين لم يكن سوى جزء من جهود الكنيسة الكاثوليكية لجذب المسلمين فى الحرب الباردة لحساب الغرب "المتدين" ضد الشيوعية "الملحدة" .. ولذلك لم تقم لهذا الحوار مؤسسات أو مشاركات إلا فى البلاد الإسلامية السائرة فى فلك المعسكر الرأسمالي الغربي.

ولقد ظل الفاتيكان طوال سنوات هذا الحوار ـ وفي كل مؤتمراته ـ على موقفه الديني الثابت الذي لا يعترف بالإسلام دينا سماويا .. ولا برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً .. ولا بالقرآن وحيا إلهيا .. وإنما يصنف الإسلام ضمن "الديانات الوضعية" ـ أي الثقافات الدينية ـ مثل البوذية والهندوسية والزرادشتية ـ بل ويُجلس وفود المسلمين فى هذه الحوارات إلى جوار وفود هذه الديانات غير السماوية!!

وفى المرات التي طلب من ممثلي الفاتيكان الاعتراف بسماوية الإسلام وألوهيته، جاء الرفض الفاتيكانى . ومعه مجلس الكنائس العالمي . صريحاً وقاطعاً .. كما حدث فى مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي . الذي عقد بالقاهرة فى فندق "شيراتون هليوبوليس" فى ٢٨،٢٩ أكتوبر ٢٠٠١م بدعوة من "المنتدى العالمي للحوار" بجدة . ومؤتمر العالم الإسلامي" .. فقد رفض مندوب الفاتيكان . القس خالد أكشة . ومندوب مجلس الكنائس العالمي . الدكتور طارق متري . التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر، لأن فيه عبارة "الديانات السماوية .. والقيم الربانية" قائلين : نحن لا نعترف بالإسلام ديناً سماوياً، ولا بالقيم الإسلامية قيما ربانية !!.

وقد تكرر هذا الإعلان . صراحة . على لسان القس الكاثوليكي "كريستيان فانيسبن" فى الحوار المسجل والمذاع . على الهواء . بإذاعة الـ "B.B.S" . القسم العربي . من مكتب القاهرة فى يوم الأحد ١٧-٩-٢٠٠٦ م فى برنامج "حديث الساعة" ، عندما قال: نحن لا نعترف بأن الإسلام دين سماوي! ..

****

الفاتيكان والإسلام (٣)

د. محمد عمارة : بتاريخ ١ - ١٠ - ٢٠٠٧

انطلق البابا بنديكتوس السادس عشر فى التخويف من الإسلام من الواقع الديني الذي تواجهه البابوية فى أوروبا والغرب .. واقع التراجع المسيحي مقارنا بواقع صعود الإسلام .. حيث :

. يسلم فى أمريكا سنويا ٢٠.٠٠٠ رغم التضييق على الإسلام الذي حدث عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م

. ويسلم فى أوروبا . سنويا . ٢٣.٠٥٨ بمعدل ٦٧ يومياً.

. بينما الذين يعتقدون بوجود إله فى أوروبا المسيحية ١٤%.

. والذين يذهبون إلى القداس فى فرنسا . أكبر بلاد الكاثوليكية الأوروبية . ٥% . أي أن الإسلام في فرنسا . (٥.٠٠٠.٠٠٠) هو الدين الأول وفق هذا الإحصاء !!..

ـ أما حال الكنائس: فهناك نقص فى الرهبان بسبب العزوف عن العزوبة ، ففي أوروبا : راهب واحد لكل ١.٢٠٠ ، وفي إفريقيا : راهب واحد لكل ٤.٠٠٠.

ـ وشيوع الشذوذ الجنسي بين رجال الدين وبين الأطفال! .. ولقد فتحت المخابرات الأمريكية "ملفات" هذا الشذوذ فى الكنائس الكاثوليكية الأمريكية للضغط على الفاتيكان وابتزازه ، عندما عارض السعي الأمريكي المحموم لغزو العراق ٢٠٠٣م .

ـ وفى أمريكا الشمالية انخفض حضور قداس الأحد بنسبة ٤٠% عن خمسينيات القرن العشرين .. وثلثهم هم الذين يداومون على حضور القداس الأسبوعي.. وكانوا ضِعفَيْ هذا العدد قبل جيل من الزمان ..

ـ و٧٠ % من كاثوليك الولايات المتحدة يطلبون السماح باستخدام موانع الحمل على خلاف موقف الكنيسة.

ـ ٧٠ % من كاثوليك روما ـ حيث الفاتيكان ـ يوافقون على ممارسة الجنس قبل الزواج!

ـ ولقد شرعت حكومة بلدية "بيونس أيرس" ـ عاصمة الأرجنتين ـ زواج المثليين!

ـ ووافقت حكومات أمريكا اللاتينية على قانون الطلاق .. وعلى دعم اختيار المرأة فيما يتعلق بالإجهاض.

ـ والتحول من الكاثوليكية إلى الكنائس المشيخية والبروتستانتية والإنجيلية يتزايد فى دول أمريكا اللاتينية.

ـ وفي استطلاع أجرته مؤسسة "جالوب" في إبريل ٢٠٠٥م ـ ظهر أن ٧٤% من الكاثوليك يتصرفون ـ في المسائل الأخلاقية ـ بناء على ضميرهم، وليس بناء على تعاليم الكنيسة ، و ٢٠ % هم الذين يتصرفون أخلاقياً بناء على تعاليم الكنيسة ! .

ـ وفى مقابل هذا الواقع المسيحي الذي يقلق البابا والفاتيكان ـ يبرز الواقع الإسلامي، الذي يعلن امتياز الإسلام ونجاعة الحلول الإسلامية .

ـ ففي جنوب إفريقيا ـ أغنى بلاد القارة السمراء ـ هناك ٥٠ % من السكان مصابون بطاعون العصر : الايذر

ـ بينما لا أثر لهذا الطاعون في الصومال المسلمة ، وهي أفقر بلاد هذه القارة ! ، بل إن المسلمين ـ حتى في جنوب إفريقيا ـ بعيدون عن الإيذر!..

ـ وفى البلاد الغربية المسيحية حيث أعلى مستويات المعيشة والإشباع للشهوات والغرائز فى العالم ، هناك أعلى نسبة من القلق والانتحار فى العالم !..

ـ بينما لا يوجد فى البلاد الإسلامية ـ رغم الفقر الذي يطحن مئات الملايين ـ أي أثر للانتحار!

ـ وكذلك الحال عند المقارنة بين انتشار الاكتئاب والاغتراب وعيادات الأمراض النفسية في البلاد المسيحية .. وندرة ذلك في البلاد الإسلامية ! ..

ـ وإذا كان الشمال المسيحي ـ وفيه ٢٠% من سكان الأرض ـ يستهلك ٨٦% من خيرات هذا العالم .. فإن أكبر ثلاث تجارات فى هذا الشمال المسيحي هي :

أولا : تجارة السلاح .. وثانيا : تجارة المخدرات .. وثالثا : تجارة الدعارة !!.

وجميع هذه الوقائع والحقائق ـ وأمثالها ـ شاهدة صدق على إفلاس الكنائس المحلية ـ التي خانت مسيحيتها ـ وعلى صعود الإسلام .. بذاته .. رغم الحال البائس لكثير من حكام عالمه !.. وعلى ظهور الحلول الإسلامية على جميع ما عداها من الحلول ! ..

لهذا كله .. جاءت محاضرة بابا الفاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ فى جامعة "ريجنسبورج" الألمانية فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦ م ـ والتي فجرت الغضب الإسلامي ـ جاءت هذه المحاضرة فى سياق من الحقائق والوقائع ـ التاريخية .. والمعاصرة ـ التي يغفل عنها الكثيرون .. كما جاءت صادمة للمشاعر الإسلامية بسبب حدتها .. ولما حوته من الأكاذيب والمغالطات والجهالات، التي لا يتصور صدورها من "أستاذ للفلسفة" يتولى منصب الحبر الأعظم لحاضرة الكاثوليكية بالفاتيكان .. عندما يتحدث عن دين ـ كالإسلام ـ يتدين به مليار ونصف المليار من المسلمين ..

لقد كان موضوع محاضرة البابا عن "علاقة العقل بالإيمان" فى المسيحية .. لكن الغريب ـ بل والعجيب والمريب ـ أن الرجل قد بدأ محاضرته بالهجوم على الإسلام ! بل واستغرق هذا الهجوم

على الإسلام ربع هذه المحاضرة !! ـ مائة سطر من أربعمائة سطر، هي جملة سطور النص الكامل للمحاضرة . !!
وكان أخطر ما فى هذه المحاضرة، ليس اقتباس البابا من الإمبراطور البيزنطي "مانويل الثاني" [١٣٩١. ١٤٢٥م] .كما حسب كثير من المعلقين . وإنما تعليقات البابا على الاقتباس !.. فقد استشهد البابا بكلمات الإمبراطور البيزنطي . فى معرض ربط الجهاد الإسلامي "بالحرب المقدسة المسيحية " وأورد الكلمات التي قال فيها هذا الإمبراطور لأحد المثقفين الفرس المسلمين :
"أرني ما الذي أتى به محمد من جديد ؟!. فهنا ستجدون أشياء شريرة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر العقيدة التي دعا إليها بحد السيف".
ولقد وصف البابا الإمبراطور "مانويل الثاني" بالموسوعي ! .. وأغفل ذكر رد المثقف الفارسي المسلم على هذا الإمبراطور! ثم مضي . معلقا ومؤيدا . فقال : "لا بد أن الإمبراطور كان يعرف أن السورة ٢ آية ٢٥٦ تنص على أنه (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) ، وهي إحدي سور العصور الأولى من تاريخ الإسلام ،عندما كان محمد لا يزال مهددا، وتعوزه القوة.
ولكن من الطبيعي كذلك . بالنسبة للإمبراطور. أن يكون قد عرف التعليمات "أوامر اللئام" بشأن الحرب المقدسة، والتي ذكرت لاحقا ودونت فى القرآن".
وفي إطار كلام البابا عن علاقة العقل بالإيمان . فى المسيحية والإسلام . قال: "إن القول الفصل فى النقاش حول التحول العقائدي باستخدام العنف، هو أن عدم التصرف وفقا للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب.. ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشي مع أي من خصائصنا بما فيها العقلانية .. ولقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وإنه ما من شيء يلزمه بكشف الحقيقة لنا.. ففيما يتعلق بإرادة الله، فإنه ينبغي علينا التعبد بشكل وثني أعمي"!!.
كانت تلك هي أبرز نقاط المغالطات والافتراءات التي وردت عن الإسلام فى محاضرة بابا الفاتيكان .. والتي إن أثارت الغضب فى جماهير الأمة الإسلامية فإنها تستوجب النظر العلمي الموضوعي والهادئ والصبور فى الحوار مع "أستاذ الفلسفة" ، عظيم الفاتيكان .

وإذا كانت مجلة "نيوزويك " ـالأمريكية ـ قد استنكرت ما جاء بمحاضرة البابا عن الإسلام .. وجعلت عنوان غلافها ـ عدد ٢٦-٩-٢٠٠٦ م ـ : "بنديكتوس السادس عشر .. ماذا دهاه ؟ ! " .. ثم وصفت طريقته ـ فى هذا التناول للإسلام ـ بأنها " طريقة خرقاء" ! فإننا نختلف معها فى هذا التوصيف .. فالأمر ليس مجرد "حماقة " .. وإنما هو موقف له تاريخ طويل من العداء للإسلام ! ..إنه فصل جديد ـ ولن يكون الأخير ـ فى فصول العداء للإسلام، والافتراء على مقدساته ورموزه وأمته وحضارته .. يأتي بعد عام من أحداث الرسوم الدانماركية، التي أساءت إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم .. وممن؟ من عظيم الفاتيكان .. وليس من صحفي دانماركي نشر رسومه فى ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ م ..

ـ لقد تحدث البابا ـ بنديكتوس السادس عشر ـ فى هذه المحاضرة .. فأساء إلى إله المسلمين ورب العالمين، عندما ادعى أن المشيئة الإلهية ـ فى الإيمان الإسلامي ـ متسامية ومطلقة، لا تتقيد بالعقل ولا بالمنطق .. الأمر الذي يجعل الإيمان الإسلامي ـ برأي البابا ـ إيمانا وثنيا أعمى !! ..

وعندما أراد الحديث عن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم اختار ـ واختيار المرء قطعة من عقله ـ عبارات الإمبراطور البيزنطي " مانويل الثاني" [١٣٩١- ١٤٢٥ م] التي تفتري على رسول الإسلام، فتزعم أنه لم يأت إلا بما هو شرير وسيىء ولا إنساني .. ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف!!

وانطلاقا من ذلك قارن البابا بين مسيحيته وبين الإسلام .. فادعى عقلانية المسيحية ولا عقلانية الإسلام!.

كما اتهم الإسلام بالتأسيس للعنف والإرهاب ، واتهم المسلمين بهما .. وخلط بين الجهاد الإسلامي والحرب الدينية المقدسة ، التي عرفتها ومارستها الكنيسة الكاثوليكية الغربية ..

****

الفاتيكان والإسلام (٤)

د. محمد عمارة : بتاريخ ٣ - ١٠ - ٢٠٠٧

رغم الدهشة والغضب اللذين يشعر بهما، لا المسلمون وحدهم، بل والمنصفون من غير المسلمين ، الذين عرفوا الإسلام .. بل وحتى المحايدون الذين يفترضون ضرورة الأدب والكياسة فى الحديث عن الديانات .. رغم كل ذلك، فإن الموضوعية يجب أن تكون المعيار الأول فى الرد على هذه الإساءات والمغالطات.

إن الغضب لله ولرسوله ولدينه أمر مشروع .. بل ومطلوب .. لكن الإسلام يعلمنا أن يمين الغاضب لا تنعقد، وأن قضاء الغاضب لا يجوز؟ لأن الغضب قطعة من الجنون .. ومن ثم فإن العقلانية والموضوعية هي التي يجب أن تحكم الرد على هذه الإساءات .. وتحكم الحوار مع عظيم الفاتيكان .

ـ وفى البداية .. ولتبديد الاستغراب والاندهاش اللذين أصابا الكثيرين من هذا الذي صنعه الحبر الأعظم للكاثوليكية، المتربع على عرش بابوية الفاتيكان .. أقول : إنه لا غرابة فى حدوث هذا الأمر الغريب ؟ !.

فهذا الرجل ـ الذي تولى البابوية في إبريل ٢٠٠٥م قد شغل ـ فى الفاتيكان ـ لأكثر من ربع قرن ـ من ١٩٨١ م حتى ٢٠٠٥م ـ منصب المسئول الأول عن "النقاء العقائدي"، أي قيادة "الأصولية الأرثوذكسية الكاثوليكية" التي تقسم العالم إلى مؤمنين كاثوليك حقيقيين وإلى من يعتنقون "بعض عناصر الإيمان " .. أي أنه ـ بالمعنى الشائع فى الشرق ـ كان يتولى زعامة ومسئولية "التكفيريين" فى الإطار الكاثوليكي ! .. الأمر الذي يرسم صورته وصورة مواقفه ضد الآخرين من غير الكاثوليك ! .. ويرسم صورة مؤسسته فى هذه المرحلة من التاريخ .

ـ وهو من هذا المنطلق "الأصولي ـ التكفيري" عدو لدود للعلمانية، التي جعلت أكبر البلاد الكاثوليكية فى أوروبا ـ فرنسا ـ لا يذهب فيها إلى القداس سوى ٥ % من السكان الكاثوليك ! .. أي أن تعداد الكاثوليك الفرنسيين ـ بمقاييس هذا البابا ـ هم أقل من تعداد المسلمين الفرنسيين!

وهذا المنصب الذي تولاه لأكثر من ربع قرن قبل توليه البابوية ـ منصب "المفتش الأكبر" رئيس مجمع عقيدة الإيمان ـ هو فى الكنيسة الكاثوليكية ـ الامتداد المعاصر "لمحاكم التفتيش"، التي

احترفت ـ فى العصور الوسطي الأوروبية ـ التفتيش عن العقائد، وممارسة الحرق والخنق والإغراق ضد العلماء والمفكرين والفلاسفة والمخالفين .. وضد المسلمين بعد إسقاط غرناطة واقتلاع الإسلام من الأندلس ١٤٩٢ م .. والتي مارست إعدام هؤلاء المخالفين على "الخازوق المقدس " لمدة ثلاثة قرون ! .. والتي بلغ ضحاياها عدة ملايين .

بل إن اختيار هذا الرجل ـ واسمه قبل البابوية "جوزيف راتزينجر" ـ لاسمه البابوي ـ بنديكتوس السادس عشر. له ـ كما أسلفنا ـ معنى وثيق الصلة بهذا التوجه "الأصولي ـ التكفيري" فى الموقف من الآخرين .. فالبابا بنديكتوس الرابع عشر (١٧٤٠ ـ ١٧٥٨م) ـ فى القرن الثامن عشر. كان عدوا للعقلانية ولمنهج الشك اللذين قامت عليهما حركة التنوير الأوروبية .. وقبل ذلك ـ فى القرن السادس ـ كان القديس البابا بنديكت الخامس [٤٨٠ـ ٥٤٧م] هو مؤسس الأديرة والرهبانية التي ساعدت على بقاء الحضارة المسيحية فى أوروبا .. وهو واضع دستور الرهبانية المتبع حتى الان فى الحضارة الغربية .

فحتى الاسم ـ بنديكتوس ـ الذي اختاره هذا البابا له توجهات أصولية ـ بالمعنى الغربي ـ وله دلالات .. وله تاريخ ! ..

ـ وفيما يتعلق بما جاء من الإساءات للإسلام ـ فى محاضرته بجامعة "ريجنسبورج " فى مدينة "رايتسبون " الألمانية ـ فى ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦م ، فإن هذا لم يكن ـ كما أسلفنا ـ بداية إساءاته إلى الإسلام ..

ـ فالرجل له تاريخ فى "الخوف والتخويف " من الإسلام ـ ذلك الذي أصبح اتجاها فى الغرب يسمونه "الإسلام فوبيا Islam phobia" ـ ففي حوار بينه وبين السياسي الإيطالي البارز "مارسيلو بيرا" ـ نشر فى كتاب عنوانه : [بلا جذور: الغرب، النسبية، الإسلام والمسيحية] يعلن هذا البابا أنه تسيطر عليه مخاوف ثلاثة :

أولها : الانقراض السكاني للأوروبيين المسيحيين بسبب العلمنة التي أشاعت الأنانية وتفكك الأسرة، فانخفضت الخصوبة والمواليد ـ أحيانا إلى أقل من ١% ـ "ذلك أن معدلات المواليد فى غالبية الدول الأوروبية تراجعت، الشيء الذي أثر على استمرار التوازن السكاني .. وجعل عدة

شعوب أوروبية، خصوصا الألمان والإيطاليين والأسبانيين، ربما لا تعود موجودة قبل نهاية القرن الحالي" أو فى أحسن الأحوال والتكهنات تصبح ـ هذه الشعوب ـ أقليات داخل دولها .

وثاني هذه المخاوف البابوية هو: "أن المكان الذي تتركه الأجيال الأوروبية الجديدة شاغرا يملؤه المهاجرون المسلمون، خصوصا من إفريقيا والعالم العربي .. الأمر الذي يفتح الباب لاحتمال أن تصبح أوروبا مستقبلاً جزءاً من دار الإسلام " !! ..

وثالث هذه المخاوف البابوية هو : "تراجع المسيحية من الفضاء الأوربي" .. فبسبب العلمانية" أصحبت مسيحية غالبية الأوروبيين تقتصر على انتماء الأسرة التقليدي للمسيحية" ، أي مسيحيون بحكم النسب والتاريخ!! الأمر الذي أدى ـ برأي البابا ـ إلى "افتقار أوروبا إلى القدرة والرغبة والشجاعة الأخلاقية فى القتال من أجل أي شيء، حتى حريتها" !!.

هكذا ينظر البابا بنديكتوس السادس عشر إلى الإسلام ، فيراه الوارث لمسيحيته وكنيسته .. الذي سيجعل أوروبا ـ وهى قلب العالم المسيحي ـ قبل نهاية هذا القرن "جزءا من دار الإسلام " ، كما سبق وجعل الشرق ـ الذي كان قلب العالم المسيحي ـ قلبا لعالم الإسلام!!..

وقد انعكس هذا الخوف البابوي من الإسلام في صور تعلن عداءه لهذا الدين، وافتراءه عليه، وإساءته لعقائده ورموزه ومقدساته ، حتى قبل هذه المحاضرة التي فجرت غضب المسلمين ، فالإسلام الذي يبلغ القمة فى التنزيه للذات الإلهية عن التعدد والحلول والاتحاد والتجسيم والتشبيه ، والذروة فى التوحيد الخالص لهذه الذات الإلهية (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ (٣) ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ) [الإخلاص ١-٤] (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) [الشورى :١١] و"كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك".

هذا الإسلام، الذي تلخصه كلمة التوحيد، وتعبر عن شعاره شهادة أن لا إله إلا الله ، يقول معه البابا : "إنه ليس دين توحيد على نمط اليهودية والمسيحية، لا ينتمي إلى الوحي نفسه الذي تنتمي إليه اليهودية والمسيحية " !!

فالتوحيد ـ برأي البابا ـ موجود فى اليهودية، التي جعلت الله خاصا ببني إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهتها ! وموجود فى المسيحية التي تقول بالتثليث ، وتعبد عيسى بن مريم ـ باعتباره الرب

ـ وتقول عنه : إنه "الألف والياء، والبداية والنهاية ، القادر على كل شيء .. خالق كل شيء، وبه كان كل شيء .. وبدونه لم يكن شيء مما كان" !! [يوحنا: ١: ٣، ١١].

أما الإسلام، الذي يجعل الواحدية والأحدية فقط للذات الإلهية، وينزهه عن المثيل والند والشريك والشبيه والصاحبة والوالد والولد ، فهو. بنظر البابا بنديكتوس ـ ليس دين توحيد !! ..

* وإذا كان الكاردينال "جوزيف راتزينجر" قد اتخذ لنفسه اسما بابويا ينم عن التوجهات المحافظة والأصولية ـ بالمعنى المسيحي الغربي ـ فإن عداءه هذا للإسلام .. وإعلانه السافر لهذا العداء .. واتخاذ هذا العداء صور الإساءة والتهجم .. هو الآخر له تاريخ .. بل وتاريخ طويل مليء بثقافة الكراهية السوداء للإسلام والمسلمين .

ـ ففي تراثه الكاثوليكي، يقول أبرز قديسي وفلاسفة الكاثوليكية ـ فى العصور الأوروبية الوسطي ـ "توما الأكوينى" [١٢٢٥ـ ١٢٧٤ م] عن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم : " لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية .. وحرّف جميع الأدلة الواردة فى التوراة والأناجيل من خلال الأساطير والخرافات التى كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون فى البادية" ! .

ـ وفى التراث الفني والأدبي الكاثوليكي الأوروبي ـ تراث بابا الفاتيكان ـ وضع "دانتى" [١٢٩٥ ـ ١٣٢١ م] صاحب "الكومديا الإلهية" رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبى طالب رضي الله عنه "فى الحفرة التاسعة، في ثامن حلقة من حلقات جهنم، لأنهما ـ بنظر دانتى ـ من أهل الشجار والنفاق ، الذين تقطعت أجسادهم فى سعير الكوميديا الإلهية" ! .

ـ وفي تراث البابا ـ الذي يتهم الإسلام بأنه ليس دين توحيد ـ تزعم "ملحمة رولاندا" ـ الشعبية التي نظمت حوالي ١٣٠٠م أن المسلمين يعبدون ثالوث :

١ـ أبولين ـ Apollin

٢ـ وتيرفاجانت ـ Tervagant

٣ـ ومحمد ـ Mohamed)[١٨]

الفاتيكان والإسلام (٥)

بقلم : د. محمد عمارة : بتاريخ ٧ - ١٠ - ٢٠٠٧

بشهادات علماء الغرب الذين قارنوا بين حقيقة الإسلام وبين الصورة البائسة والكريهة والشوهاء التي صنعتها المسيحية الغربية لهذا الإسلام .. فإن الخيال الغربي المسيحي المريض قد أطلق لنفسه العنان فى تشويه صورة الإسلام ، ليشحن العامة والغوغاء فى الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة الغربية لإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي .

ويشهد على هذه الحقيقة المستشرق الفرنسي "مكسيم رودنسون" [١٩١٥ -٢٠٠٤م] فيقول: (لقد حدث أن الكتاب اللاتين . الذين أخذوا بين ١٠٠٠م ١١٤٠ م على عاتقهم إشباع حاجة الإنسان العامي . باتوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد دون أي اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان "لجهل الخيال المتنصر" ـ كما جاء فى كلمات "ر. وساوثرن" ـ فكان محمد "في عرفهم" : ساحرا، هدم الكنيسة فى إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية .. وكان محمد "فى عرف تلك الملاحم" هو صنمهم الرئيسي، وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة ـ البدو ـ وكانت تماثيله "حسب أقوالهم" تصنع من مواد غنية، وذات أحجام هائلة) ! .

وبشهادة المستشرق الإيطالي "فرنشسكو جابرييلي": " فلقد كانت العصور الوسطي الغربية تنظر إلى ظهور الإسلام وانتشاره باعتباره تمزقا شيطانيا فى صدر الكنيسة المسيحية، وانشقاقا مشئوما قام به شعب بربرى"!.

وبشهادة المفكر الألماني "هربرت هيركومر" ـ فى دراسته عن "صور الإسلام فى الأدب الوسيط" : "فإن الأوروبيين ادعوا أن رسول الإسلام كان كاردينالا كاثوليكيا، تجاهلته الكنيسة فى انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة فى الشرق انتقاما من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية ـ فى

القرون الوسطي ـ محمدا المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية".

وبشهادة المستشرقة الألمانية دكتورة "سيجريد هونكة ": (فلقد استقر فى أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب، الذي يصمهم جهلا وعدوانا بأنهم رعاة الماعز والأغنام، الأجلاف، لابسو الخرق المهلهلة ، وعبدة الشيطان، ومحضرو أرواح الموتى ، والسحرة ، وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود ، والذين حذقوا هذا الفن واستحوذ عليهم الشيطان، تحرسهم فيالق من زبانيته من الشياطين .. وقد تربع على عرشهم الذهبي "ماهومد" ـ "مخميد" ـ وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قربانا وزلفي إليه !

فهم الكفرة الفجرة، الذين لا يدينون بالمسيح أو الله ، لأنهم لم يعبدوه بعد .. فهم ليسوا سوى ديدان حقيرة .. وسفلة أوغاد .. أعداء الله .. وأعداء المسيح .. مستبيحو قبر المسيح) ! .

وحسب وصف "جى . توينبى" [١٨٨٩ – ١٩٧٥م] : " فهم غير متحضرين .. وخلق غريب مستبعد من العالم الهلليني، أو المتطفلين على الحضارة الهللينية الإغريقية .. أولئك المحمدون البدائيون .. وأقصى القول فيهم : إنهم تقليد بربري جاهل زائف لديانة السريان الغريبة عنهم، وهم ـ لبدائيتهم وقصورهم ـ لا يسعون إلى اعتناق النصرانية" !.

"ولقد صورت الكنيسة الأوروبية رسول الإسلام ساحرا كبيرا .. وصورت "قرطبة" ـ فى الأندلس ـ وطن عباد الشيطان، المتوسلين بالموتى، الذين قدموا لمحمد الصنم الذهبي الذي كانت تحرسه عصبة من الشياطين، تضحية بشرية" !!

"فبلاد الإسلام هي عالم الخرافات والأساطير، عبدة الشيطان، والسحرة المتضرعين إلى الشيطان .. بلاد الأضاحي البشرية من أجل صنم ذهبي، تسهر على سلامته عصبة من الشياطين، اسمه محمد" !!.

"ولقد نظم شاعر الكنيسة القسيس "كونراد" ١٣٠٠م ـ فى ريجنز بورج ـ "ملحمة رولاند".. التي وصف فيها المسلمين بأنهم الشعب الذي لا يروى تعطشه لسفك الدماء، والذي لعنه رب

السماء .. فهم كفرة وكلاب .. وخنازير فجرة .. وهم عبدة الأصنام التي لا حول لها ولا قوة .. الذين لا يستحقون إلا أن يقتلوا وتطرح رممهم في الخلاء، فهم إلى جهنم بلا مراء" ! .

وفى هذه الملحمة الشعبية يخاطب القس "كونراد" الشعب المسلم، فيقول: "إن محمت . محمد . قد أرسلني إليك لأطيح رأسك عن كتفيك وأطرح للجوارح جثتك، وأمتشق برمحي هامتك ، ولتعلم أن القيصر قد أمر كل من يأبى أن تعمده الكنيسة "ليس له إلا الموت شنقا، أو ضربا، أو حرقا" . إن أولئك جميعا دون استثناء حزب الشيطان اللؤماء، خسروا الدنيا والآخرة، وحل عليهم غضب الله، فبطش بهم روحا وجسدا، وكتب عليهم الخلود فى جهنم أبدا"!!.

أما البابا الذهبي "أوربان الثاني" [١٠٨٨ . ١٠٩٩م] الذي أشعل نيران الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين ، فهو الذي خطب فى فرسان الإقطاع الأوروبيين يحثهم على الحرب المقدسة ضد المسلمين، فقال : "أى خزي يجللنا وأي عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذي لا يليق به إلا كل احتقار، والذي سقط فى هاوية التعري عن كرامة الإنسان، جاعلا من نفسه عبدا للشيطان، قد قدر له الانتصار على شعب الله المختار"!!.

نعم .. هذه هي صورة الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.. وصورة المسلمين فى تراث أوروبا الكاثوليكية .. والتي نافستها فيه أوروبا البروتستانتية، تلك التي تحدث بلسانها كبيرها "مارتن لوثر" [١٤٨٣ . ١٥٤٦م] عن القرآن الكريم فقال : "إنه كتاب بغيض وفظيع وملعون، ومليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع! .. وإن إزعاج محمد والإضرار بالمسلمين يجب أن تكون المقاصد من وراء ترجمة القرآن وتعرف المسيحيين عليه .. وإن على القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد، حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضا ليقوى إيمانهم بالمسيحية، ولتضاعف جسارتهم وبسالتهم فى الحرب ضد الأتراك المسلمين، وليضحوا بأموالهم وأنفسهم فى هذه الحروب " !! ..

أما صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الرحمة المهداة .. والنور والبشير للعالمين .. فإنها عند رأس البروتستانتية . وبألفاظه . صورة "خادم العاهرات وصائد المومسات" !!.

***

وإذا كان المرء يعجب كل العجب من أن يبلغ "الخيال المظلم والمريض" بالكنيسة الأوروبية . بابواتها .. وقساوستها .. وشعرائها .. وعوامها . هذا المستوى الغريب والعجيب والمريب فى الافتراء على الإسلام والمسلمين .. فإن هذا العجب يتزايد عندما يرى هذا التراث من ثقافة الكراهية السوداء لا يزال باقيا .. وفاعلاً .. دون نقد أو مراجعة .. بل يراه فاعلا وموجها لبابا الفاتيكان . أستاذ الفلسفة . بنديكتوس السادس عشر في القرن الواحد والعشرين !! .

***

ويا ليت الأمر قد وقف عند هذا البابا . ذي التوجهات المحافظة والأصولية . بالمعنى الغربي . وإنما الأدهى والأمر أننا أمام تراث من العداء للإسلام والافتراء على رموزه ومقدساته، يحرك هذه المؤسسة الكبرى التي يتربع على عرشها هذا البابا.

. فهذه الكنيسة هي التي هيجت أوروبا ، وأعلنت وقادت أولى الحروب العالمية على الإسلام . الحروب الصليبية . التي دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ . ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ . ١٢٩١ م] .

. وهى التي زكت وصمتت صمت الرضا . بل وشاركت بالتنصير. فى الغزوات الأوروبية الحديثة لاستعمار العالم الإسلامي على امتداد القرون الخمسة الممتدة من إسقاط غرناطة والأندلس ١٤٩٢م وحتى هذه اللحظات ! .

. وهى التي أرسلت "كريستوفر كولمبس" [١٤٥١. ١٥٠٦م] ليجمح الذهب . بعد إبادة سكان الأمريكتين . لإعداد حملة صليبية جديدة ضد عالم الإسلام، لإعادة اغتصاب القدس وفلسطين !! .. ويومها كتب "كولمبس" إلى البابا "إسكندر السادس" [١٤٩٢ . ١٥٠٣م] فقال:

"لقد اضطلعت بهذه المهمة . الرحلات إلى أرض الذهب فى أمريكا . لننفق ما سوف نكسبه منها فى رد الديار المقدسة .. وبعد أن ذهبت إلى هناك ورأيت الأرض كتبت إلى الملك "فرديناند" [١٤٧٩ـ ١٥١٦م] والملكة "إيزابيلا" [١٤٧٤ـ ١٥٠٤م] : إنه منذ ذلك اليوم، وعلى مدار سبع سنوات، سوف أحتاج إلى خمسين ألفا من الجنود المشاة، وخمسة آلاف فارس لفتح الديار المقدسة " !!.

ـ وهى التي أرسلت "فاسكو دي جاما" [١٤٦٩ـ ١٥٢٤م] ليلتف حول العالم الإسلامي .. تمهيدا لضرب قلب العالم الإسلامي ١٤٩٧م .

ـ وهى التي أرسلت "ماجلان" [١٤٨٠ . ١٥٢١] ليحارب المسلمين فى الفلبين ١٥٢١م .. ولتنصير الفيلبين التي كانت مسلمة .. واسم عاصمتها "أمان الله" .

. وهى التي أعلن مطرانها فى باريس . بحضرة الملك الفرنسي "شارل العاشر" [١٨٢٤ـ ١٨٣٠م] ـ عند احتلال الجزائر ١٨٣٠م : "إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية، وما زالت كذلك" ! .

كما أعلن كرادلتها وقساوستها . وهم يحتفلون ١٩٣٠م بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر . : "إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد .. وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل !! .. وإن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار" !! .

. وهى التي عهد جنرالها "كليبر" [١٧٥٣. ١٨٠٠م] . إبان الحملة الفرنسية على مصر. إلى المعلم "يعقوب حنا" [١٧٤٥. ١ ١٨٠م] : "أن يفعل بالمسلمين ما يشاء .. حتى تطاولت النصارى على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم .. وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين" !! .

ـ وهى المؤسسة الكنسية التي يقود كرادلتها فى واقعنا المعاصر ـ وليس فقط البابا بنديكتوس السادس عشر. حرب التخويف من الإسلام .. فيقول الكاردينال "بول بوبار" ـ مساعد بابا الفاتيكان يوحنا بولص الثاني .. ومسئول المجلس الفاتيكاني للثقافة . : "إن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن فى أنه دين وثقافة ومجتمع وأسلوب حياة وتصرف، فى حين أن المسيحيين فى أوروبا يميلون إلى تهميش الكنيسة .. إن الإسلام يمثل تحديا لأوروبا وللغرب عموما .. وإن المرء لا يحتاج إلى أن يكون خبيرا ضليعا لكي يلاحظ تفاوتا متزايدا بين معدلات النمو السكاني فى أنحاء معينة من العالم، ففي البلدان ذات الثقافة المسيحية يتراجع النمو السكاني بشكل تدريجي،

بينما يحدث العكس في البلدان الإسلامية.. وفى مهد المسيح، يتساءل المسيحيون بقلق عما سيحمله لهم الغد، وعما إذا لم يكن موتهم مبرمج بشكل ما" .

أما الكاردينال :"المونسنيور جوزيبي برناردينى" فإنه يقول ـ في حضرة البابا يوحنا بولص الثاني ـ : "إن العالم الإسلامي سبق أن بدأ يبسط سيطرته بفضل دولارات النفط .. وهو يبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين المهاجرين فى الدول المسيحية، بما فى ذلك روما عاصمة المسيحية.. فكيف لنا ألا نرى فى ذلك برنامجا للتوسع وفتحا جديدا" ؟ ! .

إذن .. فنحن لسنا بإزاء عداء فردى لبابا جديد، يمثل تيار "الأصولية الكاثوليكية" أو تراث محاكم التفتيش .. ومواقف الصليبية القديمة من الإسلام والمسلمين .. وإنما ـ مع ذلك، وفوق ذلك ـ أمام تيار قائد فى مؤسسة كنسية، هي كبرى مؤسسات المسيحية الغربية .. تحمل العداء ذاته للإسلام .. وتروج للتخويف منه باعتباره يفتح أوربا فتحا إسلاميا جديدا !! ويهدد بتحويل أوروبا إلى جزء من "دار الإسلام " في هذا القرن الذي نعيش فيه ! .

***

أما عن محاضرة البابا بنديكتوس السادس عشر. التي مثلت أحدث فصول الإساءات للإسلام ولن تكون آخر هذه الفصول ـ فلقد تناول الرجل فيها أربع نقاط :

١. الافتراء على رب العالمين وإله المسلمين .. وذلك فى معرض حديثه عن علاقة الإيمان بالعقل .. إذ ادعى أن الإيمان المسيحي عقلاني .. بينما المشيئة الإلهية لإله المسلمين متسامية ولا علاقة لها بالعقل ولا بالمنطق !! الأمر الذي يجعل الإيمان الإسلامي بإله المسلمين إيمانا "وثنيا أعمى"!! .

٢ـ والافتراء على رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك عندما استشهد بعبارة الإمبراطور البيزنطي "مانويل الثاني" [١٣٩١ ـ ١٤٢٥م] التي زعم فيها أن محمداً لم يأت إلا بما هو سيىء وشرير ولا إنساني، ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف ! .

٣ـ وخلطه بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب المقدسة . التي عرفتها ومارستها النصرانية الغربية لعدة قرون . ومن ثم ادعاؤه أن الدين الإسلامي والإيمان به إنما يؤسس لممارسة العنف والإرهاب ضد الآخرين ! .

٤ـ والافتراء على القرآن الكريم، ووصف آياته بأنها "تعليمات أوامر اللئام التي أثبتت فى القرآن " !! .

ولما كنا قد سبق وكتبنا الكتب والدراسات في الرد على جميع هذه الافتراءات والشبهات.. فإننا . مراعاة للمقام وعدم التكرار . سنقدم هنا نقاطاً موجزة تدحض هذه الافتراءات .

الفاتيكان والإسلام (٦)

د. محمد عمارة : بتاريخ ٨ - ١٠ - ٢٠٠٧

فيما يتعلق بمقام العقل فى الإيمان الإسلامي وفى الفكر الإسلامي .. فقد تجاهل عظيم الفاتيكان . الذي درس الفلسفة ودرّسها . أن الله سبحانه وتعالى فى الإيمان الإسلامي من أسمائه (الحَكِيمُ) .. وأنه (العَزِيزُ الحَكِيمُ) و (العَلِيمُ الحَكِيمُ) .. وأنه هو الذي [أنزل الكتاب والحكمة] .. وأنه . سبحانه وتعالى . إنما بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس (الكِتَابَ والْحِكْمَةَ) .. وحتى نساء النبي صلى الله عليه وسلم أشار القرآن الكريم إلى ما يتلى فى بيوتهن (مِنْ آيَاتِ اللَّهِ والْحِكْمَةِ).. وأن (ومَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) ، (سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) [البقرة: ٣٢] ، (إنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) [البقرة: ١٢٩] ، (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [البقرة : ٢٠٩] ، (هُوَ الَذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ) [الجمعة: ٢٤] ، (وأَنزَلَ اللَّهُ

عَلَيْكَ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ) [النساء: ١١٣] ، (واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ والْحِكْمَةِ) [الأحزاب: ٣٣] ، (ومَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) [البقرة: ٢٦٩].

ولقد ورد فى القرآن الكريم وصف الذات الإلهية بالحكيم فى مائة آية من آيات هذا القرآن .. كما وردت فيه الآيات التي تتحدث عن العقل والتعقل فى ٤٩ آية .. وعن القلب، كأداة للتعقل، فى ١٣٢ آية .. وعن الفقه، بمعنى الوعي العقلي، في ٢٠ آية .. وعن الحكمة فى ١٩ آية .. وعن التفكر في ١٨ آية .. وعن اللب، بمعنى العقل والجوهر الإنساني، فى ١٦ آية .. وعن الاعتبار، بمعنى التعقل، فى ٧ آيات .. وعن التدبر في ٤ آيات .. وعن النهى، بمعنى التعقل، في آيتين .

أي أن القرآن الكريم ـ الذي هو معجزة عقلية تستنفر العقل للتعقل، ولا تدهشه كالمعجزات المادية فتشله عن العمل ـ قد جاء فيه الحديث عن العقل والحكمة فيما يقرب من ثلاثمائة آية .. وذلك فضلا عن مائة آية ورد فيها ـ بالنص ـ وصف "الحكيم" كواحد من أسماء الله الحسنى .

بل لقد جعل القرآن الكريم تنكب العقلانية والتعقل السبيل إلى جهنم والعياذ بالله (وقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)) [الملك :١١،١٠].

ـ ثم .. ألم يسمع عظيم الفاتيكان أن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم قد قال : "العقل أصل ديني"..

وقال : "عليكم بالقرآن ، فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدا " (رواه الدارمى) .

وألم يقرأ لابن رشد [٥٢٠ـ ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ ـ ١١٩٨ م] ـ الذي أخرجت عقلانيته الإسلامية أوروبا من خرافات اللاهوت الكنسي ـ كيف جعل "دليل العناية والرعاية " ـ وهو قمة الحكمة والعقلانية ـ دليلا على وجود الله سبحانه وتعالى ؟ .. وكيف أعلن أن "الحكمة " هي الأخت الرضيعة "لشريعة الإسلام "؟ .

وألم يسمع ـ عظيم الفاتيكان ـ عن المعتزلة والتيار العقلاني في الفكر الإسلامي والفلسفة الإسلامية، الذين تجاوزا ما اتفق عليه غيرهم من المسلمين من أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يجوز عليه ولا يليق به ـ لفرط الحكمة المطلقة في مشيئته وفعله ـ إلا فعل الصلاح والأصلح .. تجاوز المعتزة ذلك، فأوجبوه على الله !! ..

ولقد استندوا في ذلك إلى فهمهم للقرآن الكريم، الذي جاء فيه أن الله ـ سبحانه وتعالي ـ قد (كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام: ١٢].

* وألم يقرأ ـ عظيم الفاتيكان ـ ما كتبه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ ـ ١١١١ م] ـ وهو أستاذ للعديد من الفلاسفة والقديسين المسيحيين ـ عن العلاقة العضوية بين العقلانية وبين الشرع والقرآن في الإسلام .. وكيف شبه العقل بنور البصر، والشرع بنور الشمس وضيائها .. ومن ثم حكم بأنه لا قيمة لأي منهما إذا انقطع عن الآخر .. وقال : "إنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول .. فمثال العقل : البصر السليم من الآفات والآذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء .. والمستغني بأحدهما عن الآخر إنما يكون في غمار الأغبياء .. فالمعرض عن العقل، مكتفيا بنور القرآن، مثاله: المتعرض لنور الشمس مغمضًا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان! فالعقل مع الشرع نور على نور .. وأنّى يستتب الرشاد لمن يقتنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر البحث والنظر؟ .

أولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر؟ .. إن العقل أولى باسم النور من العين، بل بينهما من التفاوت ما يصح أن يقال معه إنه

أولى، بل الحق أنه يستحق الاسم دونها .. وعند إشراق نور الحكمة يصير الإنسان مبصرا بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة، وأعظم الحكمة كلام الله تعالى، فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة، إذ به يتم الإبصار، فبالحري أن يسمى القرآن نوراً، كما يسمى نور الشمس نوراً، فمثال القرآن: نور الشمس، ومثال العقل : نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى : (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَذِي أَنزَلْنَا) [التغابن : ٨] .. وما قضي

العقل باستحالته، فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول .. والوحي الإلهي والشرع الحق لا يرد بما ينبو عنه العقل .. فلهذا كان رأسمال كل السعادات العقل" .

وقول الغزالي ـ كذلك ـ في شرح الآية الكريمة : (ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) [الإسراء: ٧٠] "فكان من أعظم ما شرفه به الله وكرمه : العقل، الذي تنبه به على البهيمة، وألحقه بسببه بعالم الملائكة، حتى تأهل به لمعرفة باريه ومبدعه بالنظر في مخلوقاته، والاستدلال به على معرفة صفاته بما أودعه في نفسه من حكمة" .

* وألم يعلم ـ عظيم الفاتيكان ـ أن الإسلام قد جعل "الشك المنهجي" علما.. وأوجب تعلمه .. لأنه هو الطريق إلى اليقين .. حتى قال الجاحظ [١٦٣ ـ ٢٥٥ هـ /٧٨٠ ـ ٨٦٩ م]: "فاعرف مواضع الشك، وحالاتها الموجبة له، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له . وتعلّم الشك في المشكوك فيه تعلما، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف، ثم الثبت، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه .. فلو لم يكن يقين قط حتى كان قبله شك، ولم ينتقل أحد عن اعتقاد إلى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك ، فلا تذهب إلى ما تريك العين، واذهب إلى ما يريك العقل، وللأمور حكمان : ظاهر للحواس، وحكم باطن للعقول، والعقل هو الحجة" .

* وقول الماوردي [٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ / ٩٧٤ـ ١٠٥٨ م] : "إن السبب المؤدي إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها شيئان: أحدهما: علم الحس، وهو العقل ، لأن حجج العقل أصل لمعرفة الأصول، إذ ليس تعرف الأصول إلا بحجج العقول . وثانيهما: معرفة لسان العرب - وهو معتبر- فى حجج السمع خاصة " .

* وقول القرافى ـ أحمد بن إدريس ـ [٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م]: " .. والقاعدة المعلومة : أن الشرع لا يرد بخلاف العقل، بل جميع واردات الشرائع يجب انحصارها فيما يجوزه العقل وجودا وعدماً، فيرد الشرع بترجيح أحد طرفيه، وجوده أو عدمه، أو يسوى بينهما، وهو الإباحة" .

* وقول القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمدانى [٤١٥ هـ ـ ١٠٢٤م]: "إن الأدلة، أولها : دلالة العقل لأن به يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة،

والإجماع. ولربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هي : الكتاب، والسنة، والإجماع فقط ، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر . وليس كذلك: لأن الله تعالي لم يخاطب إلا أهل العقل؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع ، فهو أصل فى هذا الباب. وإن كنا نقول: إن الكتاب هو الأصل، من حيث إن فيه التنبيه على ما فى العقول، كما أن فيه الأدلة على الأحكام . وبالعقل يميز بين أحكام الأفعال وبين أحكام الفاعلين، ولولاه لما عرفنا من يؤاخذ بما يتركه أو بما يأتيه، ومن يحمد ومن يذم؛ ولذلك تزول المؤاخذة عمن لا عقل له. ومتى عرفنا بالعقل إلها منفردا بالإلهية، وعرفناه حكيما، نعلم في كتابه أنه دلالة، ومتى عرفناه مرسلاً للرسول، ومميزا له بالأعلام المعجزة من الكاذبين، علمنا أن قول الرسول حجة ، وإذا قال صلى الله عليه وسلم : "لا تجتمع أمتي على خطأ .. وعليكم بالجماعة" .. علمنا أن الإجماع حجة " .

* وإذا كان بابا الفاتيكان قد جعل موضوع محاضرته عن علاقة الإيمان بالعقل .. فكيف جهل أن فلاسفة الإسلام . ومنهم أبو علي الجبائى [٢٣٥ـ ٣٠٤ هـ . ٨٤٩ – ٩١٦م] قد قالوا : "إن الواجب الأول على الإنسان هو النظر" .

بل وقال الفيلسوف أبو هاشم الجبائي [٢٤٧ – ٣٢١ هـ / ٨٦١ – ٩٣٣ م]: "إن الواجب الأول على الإنسان هو الشك" ! .. وذلك انطلاقا من التأصيل القرآني لمنهاج "الشك المنهجي": (أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المِوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى ولَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) [البقرة: ٢٦٠].

*وحتى شيخ الإسلام، وإمام السلفية ابن تيمية [٦٦١ . ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ – ١٣٢٨م] الذي جعل عنوان كتابه "درء تعارض صريح المعقول مع صحيح المنقول" .. رأيناه يعلن : أن "الحنفية وكثير من المالكية والشافعية والحنبلية يقولون بتحسين العقل وتقبيحه، وهو قول الكرامية والمعتزلة، وهو قول أكثر الطوائف من المسلمين" ، أي أن أغلب تيارات الفكر الإسلامي . الفلسفية والفقهية . تجعل العقل مرجعية للتحسين والتقبيح .

* وإذا كان عظيم الفاتيكان ـ وأستاذ الفلسفة ـ قد جهل هذا التراث الفلسفي الإسلامي القديم .. فكيف جهل تراث الإسلام الفلسفي الحديث ـ فى العقلانية الإسلامية ـ والذي قال فيه جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ – ١٣١٤ هـ / ١٨٣٨ – ١٨٩٧ م]: "إن الدين الإسلامي يكاد يكون متفردا بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل، وتوبيخ المتبعين للظنون، وتبكيت الخابطين في عشواء العماية، والقدح في سيرتهم.

هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم، وكلما خاطب خاطب العقل، وكلما حاكم حاكم إلى العقل، تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة، وأن الشقاء والضلالة من لواحق الغفلة وإهمال العقل وانطفاء نور البصيرة .. وقلما يوجد من الأديان ما يساويه أو يقاربه فى هذه المزية.. وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة.

إن العقل مشرق الإيمان، فمن تحوّل عنه فقد دابر الإيمان ، وإن فرقا بين ما لا يصل العقل إلى كنهه، فيعرفه بأثره، وبين ما يحكم العقل باستحالته، فالأول معروف عند العقل، يقر بوجوده، ويقف دون سرادقات عَزّتْهُ، أما الثاني فمطروح من نظره، ساقط من اعتباره، لا يتعلق به عقد من عقوده، فكيف يصدق به وهو قاطع بعدمه ؟ ! .

لقد بدأ الإنسان بداية لا تميزه عن غيره من الحيوانات !.. لكن نقطة الافتراق كانت قوته العاقلة .. والله قد جعل قوة العقل للإنسان محور صلاحه وفلاحه .. والحكمة ـ وآلتها العقل ـ هي مقننة القوانين، وموضحة السبل، وواضعة جميع النظامات، ومعينة جميع الحدود ، وشارحة حدود الفضائل والرذائل، وبالجملة، فهي قوام الكمالات العقلية والخلقية .. فهي أشرف الصناعات.

إن الإنسان من أكبر أسرار هذا الكون، ولسوف يستجلى بعقله ما غمض وخفي من أسرار الطبيعة، وسوف يصل بالعلم وإطلاق سراح العقل إلى تصديق تصوراته، فيرى ما كان من التصورات مستحيلاً قد صار ممكنا، وما صوره جموده بأنه خيال قد أصبح حقيقة.

إن أول ركن بني عليه الدين الإسلامي : صقل العقول بصقال التوحيد، وتطهيرها من لوث الأوهام، وسعادة الأمم لا تتم إلا بصفاء العقول من كدرات الخرافات وصدأ الأوهام، فإن عقيدة وهمية لو تدنس بها العقل لقامت حجابًا كثيفًا يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من

كشف نفس الأمر، بل إن خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك أن يحمل المثل على مثله، فيسهل عليه قبول كل وهم، وتصديق كل ظن، وهذا مما يوجب بعده عن الكمال، ويضرب له دون الحقائق ستاراً لا يخرق، وفوق ذلك ما تجلبه الأوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة، والخوف مما لا يخيف، والفزع مما لا يفزع .

إن دين الإسلام قد فتح أبواب الشرف فى وجوه الأنفس .. وقرر المزايا على قاعدة الكمال العقلي والنفسي لا غير، فالناس إنما يتفاضلون بالعقل والفضيلة .. وعقائد الأمة ـ وهي أول رقم ينقش فى ألواح نفوسهاـ يجب أن تكون مبنية على البراهين القويمة والأدلة الصحيحة، وأن تتحامي مطالعة الظنون فى عقائدها، وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها، فإن معتقدا لاحت العقيدة في مخيلته بلا دليل ولا حجة لا يكون موقنّا، فلا يكون مؤمنا .. وأولئك المتبعون للظن ، القانعون بالتقليد تقف بهم عقولهم عند ما تعودت إدراكه، فلا يذهبون مذاهب الفكر، ولا يسلكون طرائق النظر، وإذا استمر بهم ذلك تغشّتهم الغباوة بالتدريج، ثم تكاثفت عليهم البلادة حتى تعطل عقولهم عن أداء وظائفها العقلية بالمرة، فيدركها العجز عن تمييز الخير من الشر، فيحيط بهم الشقاء، ويتعثر بهم البخت، وبئس المآل مآلهم .

هذا هو الإسلام ".

الفاتيكان والإسلام (٧)

د. محمد عمارة : بتاريخ ١٠ - ١٠ - ٢٠٠٧

ألم يقرأ عظيم الفاتيكان ـ وأستاذ الفلسفة ـ شيئا من هذا الذي كتبه فيلسوف الشرق جمال الدين الأفغاني .. عن تفرد الإسلام ـ دون غيره من الأديان ـ بالعقلانية .. وشهادة خصومه له بهذا التفرد؟ ! ..

وهل يجوز لمثله ـ عن يتصدى للحديث عن موقف الإيمان الإسلامي من العقل والعقلانية ـ أن يجهل هذه "المقالات " الشهيرة ـ حتى في اللغات الغربية ـ عن
العقلانية الإسلامية ؟! ..

ثم .. ألم يسمح بابا الفاتيكان عن الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ – ١٣٢٣ هـ /١٨٤٨ – ١٩٠٥ م] ـ وهو الذي وضعت حول فكره وإبداعاته العديد من الرسائل الجامعية التي كتبها لاهوتيون غربيون .. والذي راسل وحاور العديد من فلاسفة الغرب ومفكريه .. من "تولستوى" [١٨٢٨ـ ١٩١٠م] إلى سبنسر [١٨٢٠ – ١٩٠٣م] إلى هانوتو [١٨٥٣ـ ١٩٤٤م] .. وغيرهم .. وهو الذي صاغ العقلانية الإسلامية المتفردة مقالا نفيسًا، قارن فيه بين عقلانية الإسلام ولا عقلانية عقيدة بابا الفاتكان !! ..

ألم يسمع البابا بديكتوس السادس عشر بما كتبه محمد عبده عن:

"أن الإنسان: كون عقلي، سلطان وجوده العقل، فإن صلح السلطان ونفذ حكمه، صلح ذلك الكون وتم أمره .. والعقل من أجلّ القوي، بل هو قوة القوي الإنسانية وعمادها، والكون صحيفته التي ينظر فيها، وكتابه الذي يتلوه، وكل ما يقرأ فيه فهو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه ..

والعقل هو جوهر إنسانية الإنسان، وهو أفضل القوى الإنسانية على الحقيقة ..

ولقد تآخى العقل و الدين ـ [في الإسلام] ـ لأول مرة فى كتاب مقدس على لسان نبي مرسل ، بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة ـ إلا من لا ثقة بعقله ولا بدينه ـ أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل، كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحى إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك وما يتوقف عليه فهم معني الرسالة ، كالتصديق بالرسالة نفسها..

كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء، قد يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل ..

وأول أساس وضع عليه الإسلام: هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان

الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة، وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه ؟

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة : إن الذي يستقصي جهده في الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالبا غير واقف عند الظن، فهو ناج.

فأي سعة لا ينظر إليها الحرج أكمل من هذه السعة ؟

ولقد اتفق أهل الملة الإسلامية ـ إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه ـ على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقى فى النقل طريقان : طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله فى علمه. والطريق الثانية: تأويل النقل، مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل.

وإنه لا يقين مع التحرج من النظر، وإنما يكون اليقين بإطلاق النظر في الأكوان، طولها وعرضها، حتى يصل إلى الغاية التي يطلبها بدون تقييد.

فإنه يخاطب ـ فى كتابه ـ الفكر والعقل والعلم بدون قيد ولا حد . والوقوف عند حد فهم العبارة مضر بنا، ومناف لما كتبه أسلافا من جواهر المعقولات.. والقرآن قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم، فهو معجزة عرضت على العقل، وعرفته القاضي فيها، وأطلقت له حق النظر في أنحائها، ونشر ما انطوى في أثنائها .. فالإسلام لا يعتمد على شئ سوى الدليل العقلي، والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري ، فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يعشى بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية ..

والمرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . فمن ربيَّ على التسليم بغير عقل، والعمل ـ ولو صالحا ـ بغير فقه فهو غير مؤمن، لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقي عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه، فيعمل الخير؛ لأنه يفقه أنه الخير النافع

المرضي لله، ويترك الشر؛ لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته فى دينه ودناه ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل في اعتقاده .. فالعاقل لا يقلد عاقلاً مثله، فأجدر به أن لا يقلد جاهلاً هو دونه !

وإذ القول بنفي الرابطة بين الأسباب والمسببات جدير بأهل دين ورد فى كتابه أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحول عن مكانك، فيتحول الجبل! .. يليق بأهل دين تعد الصلاة وحدها. إذا أخلص المصلى فيها. كافية فى اقدراه على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم العنصري! .. وليس هذا الدين هو دين الإسلام ! دين الإسلام هو الذي جاء في كتابه: (وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ) [التوبة: ١٠٥] - (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ)[الأنفال:٦٠] . (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) [الأحزاب: ٦٢]. وأمثالها.

وليس من الممكن لمسلم أن يذهب إلى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتب في السببية والمسببية إلا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله!.

إن الله في الأمم والأكوان سننا لا تتبدل .. وهى التي تسمى شرائع أو نواميس، أو قوانين .. ونظام المجتمعات البشرية وما يحدث فيها، هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل. وعلى من يطلب السعادة في المجتمع أن ينظر فى أصول هذا النظام حتى يرد إليه أعماله، ويبني عليها سيرته، وما يأخذ به نفسه، فإنه غفل عن ذلك غافل فلا ينتظر إلا الشقاء، وإن ارتفع في الصالحين نسبه، أو اتصل بالمقربين سببه. فمهما بحث الناظر وفكر، وكشف وقرر أتى لنا بأحكام تلك السنن، فهو يجرى مع طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تتجافي عنه، ولا تنفر منه (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المكَذِّبِينَ) [آل عمران: ١٣٧].

إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم المدونة، لتقديم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة - في مجموعها - أن يكون فيها قوم يبيون لها من سن الله في خلقه، كما فعلوا في

غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وبينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه.

والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم؛ إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها ومعرفة حقيقتها ..

وبهذا الأصل، الذي قام عليه الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله عليه وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل، وأزيلت من سبيله جميع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حد .. ".

وبعد هذا "المقال في العقلانية الإسلامية"، التي تفرد بها الإسلام دون سائر الديانات .. ينبه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده على تميز هذه العقلانية الإسلامية بأنها "عقلانية مؤمنة " تميزت بالوسطية الإسلامية الجامعة بين "العقل" و "الوحي" ـ بين "السنن الكونية : كتاب الله المنظور" وبين "آيات الوحي والشرع : كتاب الله المسطور" .. فهي بريئة من "اللاهوت الخرافي" براءتها من "الغرور العقلاني" .. بريئة من العقلانية المجردة من النقل ـ كما كان الحال في الحقبة الإغريقية ـ وبريئة من العقلانية المادية الوضعية التي جاءت ـ في النهضة الأوروبية ـ ثورة على اللاهوت اللاعقلاني

ولذلك، ضبط الإمام محمد عبده هذه العقلانية الإسلامية المؤمنة .. عندما قال :

" .. فالعقل البشري وحده ليس فى استطاعته أن يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته في هذه الحياة، اللهم إلا في قليل ممن لم يعرفهم الزمن، فإن كان لهم من الشأن العظيم ما به عرفهم أشار إليهم الدهر بأصابع الأجيال :

وقد يكون من الأعمال ما لا يمكن درك حسنه، ومن المنهيات ما لا يعرف وجه قبحه، وهذا النوع لا حسن له إلا الأمر ولا قبح إلا النهى ! ..

إن مجرد البيان العقلي لا يدفع نزاعا ولا يرد طمأنينة، وقد يكون القائم على ما وضع من شريعة العقل يزعم أنه أرفع من واضعها، فيذهب بالناس مذهب شهواته، فتذهب حرمتها، وينهدم بناؤها، ويفقد ما قصد بوضعها ..

وإذا قدّرنا عقل البشر قدره، وجدنا غاية ما ينتهي إليه كماله إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض الكائنات التي تقع تحت الإدراك الإنساني .. أما الوصول إلى كنه حقيقة فمما لا تبلغه قوته .. ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشرى أن يصل إليه وحده .. لهذا كان العقل محتاجا إلى معين يستعين به في وسائل السعادة في الدنيا والآخرة ..

فالعقل هو ينبوع اليقين في الإيمان بالله، وعلمه، وقدرته، والتصديق بالرسالة .. أما النقل، فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة، والعبادات ..

والذي علينا اعتقاده: أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد، والعقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوي أركانه.. ".(٤٨)

وعلى هذا الدرب .. درب العقلانية الإسلامية، المتميزة بإعلاء مقام العقل، مع الوسطية التي تجمع بين العقل لعالم الشهادة، والإيمان بالنقل المصور لعالم الغيب ..

أي العقلانية الجامعة بين العلم والغيب .. على هذا الدرب يسير الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ – ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ – ١٩٤٩ م] عندما يقول:

"إن الإسلام لم يحجر على أفكار، ولم يحبس العقول .. بل جاء يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء. "والحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس به".

"وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا في القطعي، فلن تصطدم حقيقة علمية بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظني منها ليتفق مع القطعي، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالإتباع حتى يثبت

العقلي أو ينهار ..

ولقد تذبذب تاريخ العقل البشرى بين:

١. طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب.

٢. وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول .

وكلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح، وغلو فاحش، وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان، فلقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلا حقّا .. فجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل ..

إن المجتمع الإنساني لن يصلحه إلا اعتقاد روحي يبعث فى النفوس مراقبة الله .. في الوقت الذي يجب على الناس فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء، وتنتفع بما فى الوجود من خيرات وميزات .. فإلى هذا اللون من التفكير الذي يجمع بين العقليتين : الغيبية والعلمية ندعو الناس"(٤٩).

الفاتيكان والإسلام (٨)

د. محمد عمارة : بتاريخ ١٥ - ١٠ - ٢٠٠٧

هكذا تبلورت فى الإسلام ـ الدين .. والحضارة .. والتاريخ ـ عقلانية مؤمنة متميزة عن غيرها من العقلانيات التي عرفتها شرائع أخرى .. وحضارات أخرى .

ـ فالإنسان كون عقلي .. سلطان وجود العقل ..

ـ والعقل هو جوهر الإنسان .. ومن أجل القوى الإنسانية .. بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها .

ـ ولقد تآخى العقل والدين فى القرآن لأول مرة فى تاريخ الشرائع السماوية .

ـ الله ـ فى القرآن ـ لا يخاطب إلا الفكر والعقل والعلم ، بدون قيد ولا حد .

ـ والقرآن معجزة عقلية، عرضت على العقل، وعرفته القاضي فيها .

ـ والمسلم لا يكون مؤمنا حقا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به .

ـ والعقل هو مشرق الإيمان الديني .

ـ والسعادة الإنسانية هي من نتائج العقل والبصيرة .

ـ وسعادة الأمم لا تتم إلا بصفاء العقول من كدرات الخرافات وصدأ الأوهام .

ـ والسببية .. والسنن والقوانين هي الحاكمة للكون والاجتماع .

ـ وأول واجب على الإنسان هو النظر .. والشك المنهجي هو الطريق إلى اليقين .

ـ والعقل هو ينبوع اليقين في الإيمان بالله .. والتصديق بالرسالة .. أما النقل فهو الينبوع فيما بعد ذلك من علم الغيب .. فالعقل من أشد أعوان الإسلام .. والنقل من أقوى أركان الإسلام .

***

ثم .. من أين جاء عظيم الفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ بهذه "البدعة " التي زعم فيها أن مسيحيته متفوقة في العقلانية على الإسلام ؟ ! .

ألم يقرأ مقارنة الإمام محمد عبده بين الدينين فى هذا المقام ؟ .. وكيف أن (أحد أصول النصرانية ـ الذي لا يختلف فيه كاثوليك ولا أرثوذكس ولا بروتستانت ـ هو أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وأن من الدين ما لا يقبله العقل ، بمعنى ما يناقض أحكام العقل ومنطقه، وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به .. ولقد قال القديس "أنسيلم" [١٠٣٣ـ ١١٠٩م] : "يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر .. فليس الإيمان في حاجة إلى نظر العقل، والكون وما فيه لا يهم المؤمن أن يجيل فيه نظره"!!.. بينما أول أماس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر العقلي هو أساس الإيمان الصحيح..) .

فأين هي العقلانية المسيحية ـ وهذا كلام القديس "أنسيلم"؟! .. فضلاً عن أن تكون عقلانيتها متفوقة على العقلانية الإسلامية ـ التي قدمنا الشواهد من مقالاتها؟! .

لقد قرر الإسلام ـ وقرر فلاسفته ومفكروه ـ أن العقل هو الطريق إلى معرفة الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأن العقل يتفكر ويتدبر ويتعقل في الخلق، فيدرك أنه لا بد من خالق متصف بكل صفات الجلال والكمال .. ولذلك كانت أول فريضة على الإنسان ـ إسلاميا ـ هي فريضة النظر! حتى قبل الإيمان بالكتب والنبوات والرسالات !! (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) [يونس: ١٠١] ـ (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ) [العنكبوت: ٢٠]

وإذا جاز لبابا الفاتيكان أن يجهل هذا التراث الإسلامي القديم والحديث في العقلية الإسلامية . المتميزة .. والمتفوقة .. والمتفردة . .. وهذا غير جائز. فكيف له أن يجهل . وهو أستاذ للفلسفة . ما كتبه المستشرق الإنجليزي "ألفريد جيوم " عن تفرد الفلسفة الإسلامية بتأسيسها على الدين الإسلامي .. وذلك عندما قال : "إن قوة الحركة الاعتزالية . التي أسست علم الكلام الإسلامي .. والفلسفة الإسلامية قبل عصر الترجمة عن الإغريق . مردها جهود أولئك الذين حاولوا أقصى ما في طوقهم إقامة علم الكلام الإسلامي على أسس ثابتة من الفلسفة، مصرين في الوقت نفسه على أن تكون تلك الأسس منطقية، ثم الانسجام بينها وبين الفلسفة التي يجب أن تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية .. " .

* ثم .. أين هي العقلانية . يا عظيم الفاتيكان . في الدين الذي ينتهك قوانين السببية، ويقرر في كتابه . أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحول عن مكانك فيتحول الجبل ! وأن الصلاة وحدها كافية فى إقدار المصلى على تغيير سير الكواكب، وقلب نظام العالم وتركيبه العنصري؟! .

* بل أين هي حتى ظلال العقلانية فى الدين الذي لا يزال أهله . حتى القرن الحادي والعشرين . يعتقدون أن " تمتمات" ببعض الكلمات اللاتينية، تحول الخبز والخمر إلى لحم معبودهم ودمه ! .. ثم "يتناولونه" . يتناولون معبودهم ويأكلونه . ليذهبوا بعد ذلك بفضلات هذا المعبود إلى حيث يعرف الجميع !! .

* أين هي العقلانية التي تتحدث عنها وتباهى بها يا عظيم الفاتيكان، وها هو القديس "أوغسطين " [٣٥٤ـ ٤٣٠م] يقول : "أؤمن بهذا لأنه محال أو غير معقول !! .. كما يقول القس وهيب الله عطا: " إن التجسيد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية ، ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولاً" !! .

* أين هي العقلانية عند الذين يقول كتابهم : "اعتقد وأنت أعمي" !!.. "أغمض عينيك ثم اتبعني" !! .

* وإذا كنت . يا عظيم الفاتيكان . لم تقرأ ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفلسفة الإسلامية والفكر الإسلامي عن مقام العقل في الإسلام .. فهل يليق بمثلك أن تجهل ما كتبه علماء الغرب عن هذه العقلانية الإسلامية، ودورها في انتشار الإسلام ؟ ! .. وما كتبوه عن لا عقلانية مسيحيتك الرومانية، التي غبشتها وأفسدتها الثقافة الهلينية، وملأتها بالأسرار والألغاز .. ودور هذه اللاعقلانية في

هزيمة مسيحيتك أمام عقلانية الإسلام ؟ ! .

كيف جهلت . يا عظيم الفاتيكان . ما كتبه العلماء الأعلام الغربيون الذين جمعوا بين فقه الإسلام وفقه النصرانية .. ومنهم العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤- ١٩٣٠م] عملاق الثقافة الإنجليزية .. الذي أورد فى كتابه الفذ [الدعوة إلى الإسلام] شهادات العلماء والفلاسفة واللاهوتيين والمستشرقين الغربيين على عقلانية الإسلام .. وعلى امتلاء المسيحية بالأسرار والألغاز التي يستحيل فهمها حتى على أهل الاختصاص .

لقد قال العلامة سير توماس أرنولد : (ولا يستطيع أي فرد أن يوضح الطابع العقلي للعقيدة الإسلامية، وما جنته من هذا الطابع من الفائدة فى نشر الدعوة، توضيحا يبعث على الإعجاب، بأكثر مما وضحه البروفسور "إدوارد مونتيه" [١٨٥٦ – ١٩٢٧م] فى العبارات التالية : " الإسلام فى جوهره دين عقلي بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق .. إن لدين محمد كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل .. إن الإيمان باالله والآخرة . فى الإسلام . يستقران في نفس المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهى على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام .

لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائما بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول . ومن العسير أن نجد فى غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا .. وفي هذا تكمن الأسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود الدعاة المسلمين.

وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل التحديد خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية . ثم هي تبعا لذلك في متناول إدراك الشخص العادي- أن تمتلك . وإنها لتمتلك فعلا . قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس") .

* وغير شهادة هذا العالم الفرنسي "مونتيه " . الخبير بالقرآن والإسلام والخبير بالكاثوليكية . يورد العلامة سير توماس أرنولد شهادة اللاهوتي الإيطالي "الأب مراتشى" [١٦١٢ – ١٧٠٠ م] ، وهو الذي نشر القرآن متنا وترجمه بالإيطالية .. كما أسهم فى ترجمة العهدين القديم والجديد .. . يورد "أرنولد" شهادة "مراتشي " على عقلانية الإسلام، والتى يقول فيها : "لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التي فاقت طاقة الذكاء البشري، أو التي هي على الأقل من الصعوبة بمكان، إن لم تكن مستحيلة [العقيدة المسيحية] وبين عقيدة القرآن، لانصرف عن الأولي في الحال، وأسرع إلى الثانية في ترحيب وقبول..".

* وغير هاتين الشهادتين الغربيتين على تميز الإسلام وامتيازه في العقلانية . بل وتفرده بها ، وخاصة إذا ما قورن بالنصرانية . يورد العلامة سير توماس أرنولد شهادات غربية على أن هذه العقلانية هي السر في هذا الانتشار الذي شهدته هذه العقيدة الإسلامية.. يورد شهادة الأمير والمستشرق الإيطالي "كايتاني . ليون" [Caetani ١٨٦٩. ١٩٢٦م] . وهو الخبير في الإسلام والدراسات الإسلامية .. وصاحب الإنجازات المتميزة في تحقيق التراث الإسلامي . التي يقول فيها : " إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحي.

أما الشرق الذي عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالاً عليه من الوجهة الدينية؛ لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة،

مليئة بالشكوك والشبهات، فأدي ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها.

فلما أهلّت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد المسيحية الشرقية التي اختلطت بالغش والزيف، وغرقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولي على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة وإغراء هذا الدين الجديد الذي بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل.. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمي في أحضان نبي بلاد العرب".

* وغير هذه "الشهادة ـ الوثيقة" لكايتاني على أن عقلانية الإسلام هي السر في انتشاره السريع، وانتصاره على اللاعقلانية المسيحية ، قدم "أرنولد" شهادة الفيلسوف الأمريكي "جون تايلور" [١٧٥٣ ـ ١٨٢٤ م] .. والتي يقول فيها: " إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر هذا الدين الجديد بهذه السرعة في إفريقيا وآسيا. كان أئمة اللاهوت في إفريقيا والشام قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية عويصة، وذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبية في السماء، وسمو البكورية إلى مرتبة الملائكة، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد ، والطبقات الوسطي مرهقة بالضرائب، ولم يكن للعبيد أمل في حاضرهم ولا مستقبلهم، فأزال الإسلام ـ بعون من الله ـ هذه المجموعة من الفساد والخرافات.

لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى . ولقد بين أصول الدين التي تقول بوحدانية الله وعظمته، كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه ، وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة آخرة ويوما للحساب، وأعد للأشرار عقاباً أليما، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الديني والترهات والنزعات الأخلاقية الضالة وسفسطة

المنازعين في الدين، وأحل الشجاعة محل الرهبنة، ومنح العبيد رجاء، والإنسانية إخاء، ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية، التي تقوم عليها الطبيعة البشرية" .

الفاتيكان والإسلام (٩)

د. محمد عمارة : بتاريخ ١٧ - ١٠ - ٢٠٠٧

إذا كان عظيم الفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ قد جهل عقلانية الإسلام ـ كما جاءت في مصادره ـ فلماذا تجاهل ما كتبه علماء الغرب في هذا الميدان .. وهو شهير ومنشور بمختلف اللغات الغربية التي يتقنها عظيم الفاتيكان ؟!.. أم أن " الغرض" هو "المرض"! الذي جعل الرجل يتجاهل هذا "المقال الغربي" في عقلانية الإسلام .. ولا عقلانية المسيحية التي انتصر عليها الإسلام ؟!.

***

ويا ليت الأمر قد وقف بهذا البابا عند "الجهل" و"التجاهل" ، ذلك أن بابا الفاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ قد استند في حكمه على الإيمان الإسلامي بأنه لا عقلاني ولا منطقي .. وأنه "إيمان وثني أعمي"! ..استند إلى نص منسوب إلى الإمام الفيلسوف والفقيه ابن حزم الأندلسي [٣٨٤ – ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ – ١٠٦٤ م] .. فقال: " لقد ذهب ابن حزم إلى حد الإقرار بأن الرب الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وأنه ما من شيء يلزمه بكشف الحقيقة لنا..".

ثم علق البابا ـ في محاضرته ـ على هذه "الفكرة" المنسوبة لابن حزم، فقال ـ مقارناً هذه "الفكرة" باعتقاده المسيحي ـ : " إن القول الفصل في النقاش حول التحول العقائدي باستخدام العنف

هو أن عدم التصرف وفقا للعقل هو أمر مناهض لطبيعة الرب .. ولكن بالنسبة للتعاليم الإسلامية فإن الرب مطلق السمو، فمشيئته لا تتماشي مع أي من خصائصنا، بما فيها العقلانية".

ثم خلص ـ هذا البابا ـ إلى وصف الإيمان الإسلامي بأنه إيمان وثني أعمي.. وبنص عبارته: " ففيما يتعلق بإرادة الله ـ في الإسلام ـ ينبغي علينا التعبد بشكل وثني أعمي"!!.

وأمام هذا الحكم الفاجر ـ وليس فقط الجائر ـ على الإيمان الإسلامي .. لابد من وقفات:

* إن بابا الفاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ هو أستاذ للفلسفة ، مارس العمل الأكاديمي وتقاليد البحث العلمي الأكاديمية قبل أن ينخرط في سلك الكهنوت.. ولقد تولى ـ في الفاتيكان ـ قبل البابوية "عمادة كلية الكاردينالات" .. ومن تقاليد البحث العلمي ـ التي يعرفها حتى المبتدئون في هذا الميدان ـ الرجوع في الاستشهاد بالنصوص إلى مصادرها الأصلية، فهل صنع ذلك بابا الفاتيكان ـ وهو أستاذ الفلسفة ـ عندما استشهد بابن حزم، وأسس حكمه على الإيمان الإسلامي بأنه لا عقلاني ووثني أعمي، بناء على هذا "الشاهد" الذي استشهد به ؟!.

إن أستاذ الفلسفة ـ الحبر الأعظم للفاتيكان ـ قد خان أمانة البحث العلمي.. واستند إلى "شهادة مزور وكاذب"!! فهو لم يرجع إلى ابن حزم ـ وكتبه مترجمة إلى العديد من اللغات الغربية ـ وإنما اعتمد ـ هذا الأستاذ للفلسفة ـ على "منهج العنعنات" ..فاستند إلى مسيحي لبناني هو "عادل تيودور خوري" .. الذي لم يرجع هو الآخر إلى المصادر الأصلية لابن حزم ..وإنما أخذ عن باحث فرنسي في الإسلاميات هو "أرنادليز" ! ..وهذه سقطة وخيانة لتقاليد البحث العلمي ما كان يليق ببابا الفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ أن يقع فيها ، خصوصا عندما يتحدث في محاضرة فلسفية ـ عن علاقة الإيمان بالعقل ـ في الجامعة التي كان يدرس فيها الفلسفة .. وإلى نخبة من الأساتذة الجامعيين الأكاديميين! ثم يرتب على هذه السقطة وشهادة الزور ذلك الحكم الجاهل والفاجر على الإيمان الإسلامي ـ الذي يتدين به مليار ونصف المليار من البشر ـ وهو الإيمان الذي يقض انتشاره مضاجع البابا حتى في عقر داره الأوروبية!.

* ولقد ظننت في بادئ الأمر . لحسن ظني بأمانة الرجل الأكاديمية . أن الأمر لا يعدو أن يكون إساءة فهم منه للفكرة المنسوبة لابن حزم ..وظننت أن ابن حزم يدافع عن طلاقة المشيئة الإلهية والقدرة الإلهية في مواجهة المعتزلة الذين "أوجبوا" على الله فعل الصلاح والأصلح . الأمر الذي يوهم أنهم قد حدوا من طلاقة القدرة والمشيئة الإلهية . وأن الأمر لا يعدو الرفض . من ابن حزم . لتقييد المشيئة الإلهية والقدرة الربانية.. لكن عنَّ لي أن أختبر مدي الصدق في هذا الذي نسبه البابا إلى ابن حزم، نقلا عن "الأساتذة" الكاثوليك : عادل تيودور خوري .. وأرنادليز.

ولم يكن هذا الاختبار بالأمر السهل أو الميسور .. وذلك لأن البابا . أستاذ الفلسفة . قد وقع في سقطة علمية أخري عندما نسب كلاما لابن حزم، دون أن يقول لنا ما هو الكتاب الذي قال فيه ابن حزم هذا الكلام؟ .

إن لابن حزم عشرات الكتب.. وبعض هذه الكتب تبلغ مجلداتها العشرات.. ففي أي كتاب؟.. أو جزء ؟ .. أو صفحة.. وفي أية طبعة من الطبعات يمكن العثور على هذا الذي نسبه البابا إلى الإمام ابن حزم؟ بل في أية لغة من اللغات التي ترجم إليها فكر ابن حزم تم النقل عنه من قبل الذين نقل عنهم بابا الفاتيكان ؟؟!

لكن خطر القضية .. وخطورة الحكم الذي حكم به البابا . أستاذ الفلسفة . على الإيمان الإسلامي، جعلني أستعين بالخبرة في التعامل مع المصادر.. ومظان القضايا والأفكار .. حتى هداني الله فعثرت على المصدر الذي تحدث فيه ابن حزم حول هذا الموضوع في كتابه [الفصل في الملل والأهواء والنحل].

ولقد كانت المفاجأة الأعظم عندما اكتشفت الكذب البواح والاغتيال الفكري الصريح الذي مارسه الحبر الأعظم . و"الأساتذة" الكاثوليك الذين نقل عنهم . ضد أفكار ابن حزم حول طلاقة المشيئة الإلهية ولا محدودية القدرة الإلهية .

منهج الاغتيال الفكري على طريقة [لا تقربوا الصلاة] و[ويل للمصلين]!!.. فابن حزم لم يرد في كلامه ولم يخطر بباله أن يقول: " إن الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة، وإنه ما من شيء يلزمه بكشف الحقيقة لنا.." .. ومن ثم لم يقل إن مشيئة الله منفكة عن العدل والمنطق والمعقول

والصلاح والأصلح.. وإنما ميز بين قدرة البشر المحدودة وبين قدرة الله التي لا تحدها حدود .. وأكد ـ في الوقت ذاته ـ بالنصوص الصريحة اتساق المشيئة الإلهية مع الحكمة والرحمة والعدل والمنطق والعقل.. لأنه ـ سبحانه ـ مع طلاقة مشيئته وقدرته، لا يفعل الظلم ولا الجور ولا العبث ولا الكذب، مما لا يليق بذاته المتصفة بصفات الجلال والجمال والكمال ، ومن ثم فلا يصدر عنه ـ سبحانه ـ ما ينافي الحكمة والعقل والمنطق.. لأن فعل ذلك هو من صفات المخلوقين، وليس من صفات الخالق.. وهو ـ سبحانه ـ الذي كتب على نفسه الرحمة.. والذي لا يظلم أحدا .. والذي لا يأمر بالفحشاء ولا المنكر .. والذي أحسن كل شيء خلقه وقدره تقديراً.

ولقد كشفت نصوص ابن حزم عن حقيقة الإيمان الإسلامي : الإيمان بمشيئة إلهية وقدرة ربانية لا تعرف الحدود .. ولا تتناهي .. وفي الوقت ذاته منزهة عن مجاوزة الحكمة والرحمة والعدل والمنطق والعقلانية بكل ما تعني هذه المصطلحات عند الذين يفقهون ويعقلون .. وحتى تتكشف "العورة الفكرية" و"السقطة المنهجية" و" الكذبة الكبرى" التي سقط فيها "أستاذ الفلسفة" والحبر الأعظم للفاتيكان ـ هو وحزبه ـ نورد نصوص الإمام ابن حزم حول القدرة الإلهية والمشيئة الربانية في التصور العقدي للإسلام والمسلمين .. وهو في هذه النصوص يقول لمن يسأل:

ـ هل طلاقة القدرة الإلهية ـ القادر على كل شيء ـ تجعله فاعلا للكذب مثلا وهو في مقدوره؟

فيقول ابن حزم ـ في جواب هذا السؤال ـ : "إن الله تعالي فعال لما يشاء، وعلى كل شيء قدير ..[وكان الله عليما قديرا] ، فأطلق تعالي لنفسه القدرة ، وعم ولم يخص، فلا يجوز تخصيص قدرته بوجه من الوجوه.. فإن قال قائل: فما يؤمنكم إذ هو تعالي قادر على الظلم والكذب والمحال من أن يكون قد فعله أو لعله سيفعله فتبطل الحقائق كلها ولا تصح، ويكون كل ما أخبرنا به كذبا؟".

ثم يجيب ابن حزم على سؤال هذا القائل:

"وجوابنا في هذا .. أن الله تعالي قادر عليه ولكن لا يفعله ..وأنه تعالي لا يجور ولا يكذب.. ولا يظلم، وأنه تعالي قد أخبرنا بأنه قد تمت كلماته صدقًا وعدلاً ولا مبدل لكلماته، وأنه تعالي قادر، وليس كل ما يقدر عليه يفعله.. وكل من يدين بأن الله حق مجمعون على أنه تعالي لا

يكذب ولا يظلم .. وقد صح إطباق جميع سكان الأرض قديما وحديثا، لا نحاشي أحدا، على أن الله لا يظلم ولا يكذب .

وقد قام البرهان على أنه تعالي لا يشبه شيء من خلقه في شيء من الأشياء، والخلق عاجزون عن كثير من الأمور، والعجز من صفة المخلوقين، فهو منفي عن الله عز وجل جملة، وليس في الخلق قادر بذاته على كل مسئول عنه، فوجب أن الباري تعالي هو الذي يقدر على كل مسئول عنه .. وكذلك الكذب والظلم من صفات المخلوقين، فوجب يقينًا أنهما منفيان عن الباري تعالي.. فهذا هو الذي آمننا من أن يظلم أو يكذب أو يفعل غير ما علم أنه يفعله، وإن كان تعالي قادرا على ذلك" .

هذه هي نصوص الإمام ابن حزم الأندلسي، حول الإيمان الإسلامي بطلاقة المشيئة الإلهية، ولا محدودية القدرة الإلهية.. وفي الوقت ذاته تنزيه الذات الإلهية عن كل ما لا يليق بالحكمة المطلقة .. والعدل المطلق.. والرحمة المطلقة .

لقد تنزه ـ سبحانه ـ عن العجز البشري ، وعن فعل ما لا يليق بذاته المنزهة .. لقد خلق كل شيء بقدر.. وكتب على نفسه الرحمة .. وهو (الَذِي أَنزَلَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ والْمِيزَانَ) [الشورى: ١٧] ، (وأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ والْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [الحديد : ٢٥] ، ومن ثم فلا تناقض بين طلاقة قدرته ـ سبحانه ـ وبين الحكمة والمنطق والعقل كما يفهمها الحكماء والعقلاء .

تلك هي الحقيقة التي "جهلها ـ وتجاهلها" بابا الفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ فافتري على الإمام ابن حزم، ونسب إليه ما لم يقله .. بل افتري عليه عكس ما قاله!!..

لقد قال ابن حزم:" لقد أخبرنا الله تعالي بأنه قد تمت كلماته صدقا وعدلاً لا مبدل لكلماته".

وافتري البابا على ابن حزم عندما نسب إليه عبارة:" إن الله لا يلتزم حتى بكلمته الخاصة"!!

وهكذا بلغ الافتراء حد الفجور .. ثم صعد به إلى حيث عممه على الإيمان الإسلامي، فوصفه بأنه "إيمان وثني أعمي"!! فلم يقف الافتراء عند ابن حزم وإنما عممه البابا على الإسلام .. وكل المؤمنين بالإسلام!.

وهكذا تأسس الافتراء الغريب والعجيب على فضيحة علمية من "الوزن الثقيل"! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفاتيكان والإسلام .. (١٠)

أهي حماقة .. أم عداء له تاريخ ؟

د. محمد عمارة : بتاريخ ١٩ - ١٠ - ٢٠٠٧

هل يليق بعظيم الفاتيكان أن يقتبس الافتراءات التي تتحدث عن أن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم لم يأت إلا بما هو سيىء ولا إنساني وشرير ؟!! ومن ذلك حضه على نشر دينه بالسيف ؟!! .

وإذا كانت "خارطة العالم الإسلامي" تقول: إن أربعة أخماس الأمة الإسلامية لم يدخل بلادها جيش إسلامي فاتح .. ولا عرفت في تاريخها حروباً ولا فتوحات .. وإنما دخلها الإسلام وانتشر فيها بالقدوة والأسوة وتميز منظومة القيم والأخلاق التي جاء بها الإسلام ، والتي حملها إلى هذه البلاد التجار والعلماء والمتصوفة .

كما تقول حقائق تاريخ الفتوحات الإسلامية إن هذه الفتوحات جميعها إنما تمت ضد قوى الهيمنة الاستعمارية والحضارية التي قهرت الشرق واستعمرته ونهبته لعشرة قرون ، بدءا من "الإسكندر الأكبر" [٣٥٦- ٣٢٤ ق.م] في القرن الرابع قبل الميلاد إلى "هرقل" [٦١٠- ٦٤١م] في القرن السابع للميلاد..

وتقول هذه الحقائق ـ كذلك ـ بأن جميع معارك تلك الفتوحات الإسلامية إنما كانت ضد جيوش الاستعمار البيزنطي والفارسي ، ولم تدر معركة واحدة ضد أهل البلاد من الشرقيين.

بل وتقول هذه الحقائق ـ أيضاً ـ إن الشعوب الشرقية قد وقفت مع جيوش الفتح الإسلامي ضد المحتلين البيزنطيين الرومان، لأنها رأت في الفتح الإسلامي تحريرا للأرض والأوطان من النهب الروماني، وتحريرا للشرق من القهر الحضاري البيزنطي .. وتحريراً للمسيحية الشرقية وضمائر أهلها من الاضطهاد الديني ـ بل والإبادة ـ التي مارستها الكنيسة الرومانية ضد النصرانية الشرقية .. وقد وقفت هذه الشعوب الشرقية جميعها مع جيوش الفتح الإسلامي، وهي على دياناتها السابقة على الإسلام.. وقد شهد الأساقفة النصارى الشرقيون ـ ومنهم شهود العيان على هذا الفتح الإسلامي ـ على أن هذا الفتح إنما كان "إنقاذاً" للنصرانية الشرقية ـ التي اضطهدها الرومان ـ وتحريراً للكنائس والأديرة الشرقية ـ التي اغتصبها الرومان ـ وعلى أن هذا الفتح إنما جاء "عقاباً إلهيا" ـ بيد إسلامية ـ للرومان على ظلمهم الذي مارسوه ضد الشرق والشرقيين لعشرة قرون .

* شهد بهذه الحقيقة ـ التي تجاهلها عظيم الفاتيكان ـ الأسقف القبطي "يوحنا النقيوسي".. فقال :

"إن الله ـ الذي يصون الحق ـ لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين ـ العرب المسلمين ـ ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر.

وكان هرقل حزينا .. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر الله الذي يأخذ أرواح حكامهم .. مرض هرقل ومات .

وكان عمرو بن العاص [٥٠ ق. هـ ـ ٤٣ هـ / ٥٧٤ – ٦٦٤ م] يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئا ما، سلبا أو نهبا، وحافظ عليها [الكنائس] طوال الأيام" .

* وشهد بذلك بطرك المصريين "بنيامين" [٣٩ هـ / ٦٥٩ م] الذي ظل هاربا من مطاردة الرومان ثلاثة عشر عاماً .. حتى جاء الفتح الإسلامي فأمّنه وأعاده إلى كرسي كنيسته .. وأعاد إليه كنائس رعيته وأديرتهم من الاغتصاب الروماني .. فخطب في "دير مقاريوس" ـ بعد التحرير الإسلامي ـ فقال:

" لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون" .

* ولقد وصف الأسقف "يوحنا النقيوسي" فرح المصريين بانتصار المسلمين على الرومان .. وبهجتهم بتحرير المسلمين للبطرك "بنيامين" ورد الكنائس والأديرة إلى أهلها .. وصف ذلك الذي شهدته عيناه، فقال: " ودخل الأنبا بنيامين بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم في العام ١٣ ـ أي العام الثالث عشر من تاريخ هروبه ـ وسار إلى كنائسه، وزارها كلها. وكان كل الناس يقولون: هذا النفي، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك ، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا "كيرس" ـ البطرك المعين من قبل الدولة الرومانية في مصر ـ وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر.." .

* كما شهد بذلك الأسقف "ميخائيل السرياني" ـ بعد خمسة قرون من الفتح التحريري الإسلامي ـ فقال في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي : "وهذا هو السبب أن إله الانتقام الذي تفرد بالقوة والجبروت ، والذي يديل دولة البشر كما يشاء فيؤتيها من يشاء .. لما رأي شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب من غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيدهم من قبضة الروم .. ولم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام" .

وهكذا رأي ميخائيل الأكبر ـ بطريق أنطاكية اليعقوبي ـ "أصبع الله في الفتوح العربية حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامي خمسة قرون" ، كما يقول العالم الإنجليزي توماس أرنولد .

* وشهد على هذا الطابع التحريري للفتح الإسلامي العلامة سير توماس أرنولد [١٨٦٤ — ١٩٣٠م] فقال: "إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين نعموا ـ بوجه الإجمال ـ في ظل الحكم الإسلامي بدرجة من التسامح ، لا نجد لها معادلا في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة.

وإن دوام الطوائف المسيحية في وسط إسلامي يدل على أن الاضطهادات التي قاست منها بين الحين والآخر على أيدي المتزمتين والمتعصبين، كانت من صنع الظروف المحلية أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح" .

* وشهد بذلك . أيضا . المستشرق الألماني الحجة "آدم متز" [١٨٦٩ – ١٩١٧ م] عندما قال: " لقد كان النصاري هم الذين يحكمون بلاد الإسلام"! .

* ولقد استمرت شهادات الإنصاف للفتوحات الإسلامية . من رجال الدين والمؤرخين غير المسلمين . حتى القرن العشرين .. فكتب يعقوب نخلة روفيلة [١٨٤٧ – ١٩٠٥م] في كتابه [تاريخ الأمة القبطية] يقول: " ولما ثبت قدم العرب في مصر، شرع عمرو بن العاص في تطمين خواطر الأهلين باستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شيء فعله من هذا القبيل: استدعاء "بنيامين" البطريرك، الذي اختفي من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أمانًا وأرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور، ولا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع أكرمه وأظهر له الولاء ، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته، وعزل البطريرك الذي كان أقامه هرقل، ورد "بنيامين" إلى مركزه الأصلي معززاً مكرماً.

وكان بنيامين موصوفا بالعقل والمعرفة والحكمة حتى سماه بعضهم (بالحكيم) .. وقيل إن عمرا لما تحقق ذلك منه قربه إليه، وصار يدعوه في بعض الأوقات ويستشيره في الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها.. وقد حسب الأقباط هذه الالتفاتة منة عظيمة وفضلا جزيلاً لعمرو.

واستعان عمرو في تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالي، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلاً منها حاكم قبطي ينظر في قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوي نزاهة واستقامة، وعين نوابا من القبط ومنحهم حق التدخل في القضايا المختصة بالأقباط والحكم فيها بمقتضي شرائعهم الدينية

والأهلية، وكانوا بذلك في نوع من الحرية والاستقلال المدني، وهي ميزة كانوا قد جردوا منها في أيام الدولة الرومانية.

وضرب [عمرو بن العاص] الخراج على البلاد بطريقة عادلة .. وجعله على أقساط، في آجال معينة، حتى لا يتضايق أهل البلاد.. وبالجملة، فإن القبط نالوا في أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان.." .

هكذا شهدت هذه الشهادات التي كتبها أقباط ومستشرقون ، منهم من كان شاهد عيان على الفتوحات الإسلامية ، على أن هذه الفتوحات :

* هي التي أنقذت النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية.

* وأعادت الشرعية والعلنية والحرية لهذه النصرانية الشرقية، بعد أن حظرها الرومان وعاملوها باعتبارها هرطقة ممنوعة ، وبعبارة "ميخائيل الأكبر ـ السرياني" : "فإن الإمبراطور الروماني لم يسمح لكنيستنا المونوفيزتية ـ [القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح] ـ بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت؛ ولهذا فقد انتقم الرب منه".

* وحررت دور العبادة النصرانية ـ الكنائس والأديرة ـ من الاغتصاب الروماني، لا ليتخذها المسلمون مساجد، وإنما أعادوها إلى النصارى الوطنيين حتى "ليروي أنه خرج للقاء عمرو بن العاص من أديرة وادي النطرون ـ بمصر ـ سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه، وأنه كتب لهم كتاباً ـ بالأمان ـ هو عندهم..." .

* وحررت هذه الفتوحات الإسلامية الناس فأشركتهم في حكم بلادهم وأعادت إليهم استقلالهم القانوني .. والقضائي .. والمدني .. الذي حرموا منه طوال قرون الاستعمال الروماني.

* كما أعادت العدالة الاجتماعية إلى هذه البلاد، عندما نظمت الضرائب وجعلتها على أقساط .. وفي آجال محددة .. وحصرتها في ضريبتين بعد أن كان المواطن يدفع أربع عشرة ضريبة للرومان!.

* وعاد الطابع الوطني للنصرانية الشرقية وكنائسها ورئاساتها .. فعزل عمرو بن العاص "البطرك ـ الاستعماري" الروماني وأعاد البطرك "بنيامين" إلى كرسي كنيسته الوطنية المصرية.

* وإذا كـان المستـشرق الألمـاني الحجـة "آدم متـز" قـد وصـف حـال النـصاري في ظـل الدولـة الإسلامية فقال : " لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام".. فإن هؤلاء النصارى قـد حرمـوا حريـاتهم المدنيـة والـسياسية والقانونيـة والقـضائية والثقافيـة واللغويـة طـوال القـرون الـتي ابتليت بلادهم فيها باستعمار الرومان والبيزنطيين.

* ولذلك كان استقبال شعوب الشرق للفاتحين الإسلاميين كمحررين .. وبعبارة المؤرخ النصراني "جـاك تـاجر" [١٩١٨ — ١٩٥٢] : " فـإن الأقبـاط قـد استقبلوا العرب كمحـررين ، بعـد أن ضمن لهم العرب . عند دخولهم مصر . الحرية الدينية، وخففوا عنهم الضرائب .. ولقد ساعدت الـشريعة الإسـلامية الأقبـاط على دخـولهم الإسـلام وإدمـاجهم في المجموعـة الإسـلامية، بفـضل إعفـائهم مـن الـضرائب.. أمـا الـذين ظلـوا مخلصين للمسيحية فقـد يسر لهم العرب سبل كسب العيش .. إذ وكلوا لهم أمر الإشراف على دخل الدولة".

* وحتى البابـا شـنودة الثالـث [١٩٢٣ -] بابـا الكنيـسة القبطيـة الأرثوذكـسية . أكـبر كنـائس الشرق وأعرقها . والذي كتب عن عدل الإسلام وسماحته، وعن عدل الخلفاء والحكام المسلمين مع غير المسلمين .. فقال عن عدل الراشد الثاني عمر بن الخطاب [٤٠ ق .هـ - ٢٣ هـ / ٥٨٤ — ٦٤٤ م]:

" لقد رأينا في التاريخ الإسلامي أمثلة واضحة للسماحة الإسلامية ، نذكر منهـا أن الخليفـة عمـر بـن الخطـاب حينمـا اقـترب مـن المـوت أوصـي مـن يـأتي بعـده في الخلافـة مـن جهـة أهـل الكتـاب بأمرين:

الأمر الأول: وفاء العهود التي أعطيت لهم .

والأمر الثاني قال فيه: ولا تكلفوهم فوق ما يطيقون .

. . وحينما كان الوليد بن عقبة واليا على بني تغلب ومن فيهم من نصارى . . ورأى عمر أن الوليـد هـدد هـؤلاء النـاس وتوعـدهم ، عزلـه مـن الولايـة حـتى لا يلقـى بهـم شـرا .. وهكـذا كـان المسلمون يسلكون فى العدل بين رعاياهم ، أيا كان مذهبهم .

ولقد انتهت حياة عمر بن الخطاب على الأرض، وانتهت مدة خلافته، ولكن الخير الذي عمله لم يمت بموته إطلاقا، ولا يزال حيا الآن يملأ الآذان ويملأ الأذهان .. ويحيا مع الناس على مدى الأزمان" .

كما تحدث البابا شنودة عن سماحة الخليفة معاوية بن أبي سفيان [٢٠ق.هـ - ٦٠ هـ / ٦٠٣ – ٦٨٠ م] مع غير المسلمين.. فقال: " لقد كان طبيبه الخاص نصرانياً . . واختار رجلا مسيحيا لكي يؤدب ابنه يزيد .. ويزيد هذا اختار كاهنا مسيحيا لكي يؤدب ابنه خالداً".

وتحدث عن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان [٢٦- ٨٦ هـ / ٦٤٦ – ٧٠٥ م] فقال : " لقد اتخذ يوحنا الدمشقي [٥٥- ١٢٢هـ / ٦٧٥ - ٧٤٠م] مستشارا له . . وقد اختار رجلاً معلماً مشهورا اسمه " أطانا سيوس" لكي يؤدب أخاه عبد العزيز . . ولما صار عبد العزيز بن مروان حاكما لمصر أخذ "أطانا سيوس" معه كمستشار له . . ونجد أن الأخطل [١٩ – ٩٠هـ / ٦٤٠ – ٧٠٨ م] كان من الشعراء المسيحيين المشهورين، واندمج فى مجموعة متلازمة مع جرير [٢٨- ١١٠ هـ / ٦٤٠- ٧٠٨م] والفرزدق [١١٠ هـ / ٧٢٨ م] واشتهرت هذه المجموعة في العصر الأموي . . وكان الأخطل المسيحي حينما يدخل إلى مساجد المسلمين يقوم المسلمون له إجلالًا لعلمه وأدبه ، كما يروي التاريخ الإسلامي" .

كذلك يشهد البابا شنودة للخليفة الأموي هشام بن عبد الملك [٧١ – ١٢٥ هـ / ٦٩٠- ٧٤٣ م] فيقول: "إنه ابتنى للبطريرك فى أيامه بيتا إلى جوار قصره، وكان يستمع منه إلى صلواته وعظاته".

ويشهد . كذلك . للعصر العباسي، فيقول عن أبي جعفر المنصور [١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٣ - ٧٧٤م] : " إن طبيبه الخاص كان مسيحيا اسمه " جرجس بن بختيشوع" ، وكان الخليفة هارون الرشيد [١٤٩ – ١٩٣ هـ / ٧٦٦ – ٨٠٩ م] يقول للناس: من كان منكم له حاجة عندي فليكلم فيها جبرائيل؛ لأني لا أرد له طلبا .. وكان يوحنا مشهورا من أيام الرشيد إلى أيام المتوكل [٢٠٦ – ٢٤٧ هـ / ٨٢١ – ٦٨١ م] ، وكان هؤلاء الخلفاء يدعونه إلى موائدهم، وما يأكلون شيئا إلا في حضرته .. وكان حنين بن إسحق من أشهر الأطباء في العصر الإسلامي ،

حتى قيل عنه إنه أبوقراط عصره وجالينوس دهره . وحنين بن إسحق هذا تعلم الفقه على يد الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ – ٢٤١ هـ / ٧٨٠ - ٨٥٥م] وكذلك اللغة على يد سيبويه [١٤٨ – ١٨٠ هـ / ٧٦٥ – ٧٩٦ م] ونبغ في اللغة العربية نبوغا عظيماً.." .

كما شهد البابا شنودة للدولة الطولونية، ومؤسسها أحمد بن طولون [٢٢٠ – ٢٧٠ هـ / ٨٣٤ . ٨٨٤م] "الذي كان من المحبين للأقباط كثيرا، والذي اختار مسيحيا لكى يبنى له مسجده .. واختار مسيحيا لكي يبنى القناطر وكثيرا من منشآته . . وكان يذهب كثيرا لزيارة دير القصير، وكان على صلة وثيقة برهبانه هناك . . فلقد كانت الأديرة المصرية دائما مجالاً لالتقاء الخلفاء والولاة، وكانوا يحبونها ويقضون فيها الكثير من الوقت، ويصادقون رهبانها وأساقفتها" .

كما شهد البابا شنودة للدولة الإخشيدية، ومؤسسها محمد بن طغج الإخشيد [٢٦٨ – ٣٣٤ هـ / ٨٨٢ – ٩٤٦ م] "الذي كان يبنى الكنائس بنفسه وتولى ترميمها" .

كما شهد البابا شنودة للدولة الفاطمية .. فقال: " ولا أستطيع أن أذكر مقدار اهتمام الخلفاء الفاطميين بالكنائس وبنائها وترميمها.." .

ثم يختم البابا شنودة شهادته للتاريخ الإسلامي والسماحة الإسلامية، فيقول : " كما تولى الخلفاء والحكام إقامة الوحدة الوطنية ورعايتها .." .

الفاتيكان والإسلام (١١)

بقلم : د. محمد عمارة : بتاريخ ٢٠ - ١٠ - ٢٠٠٧

هل قرأ عظيم الفاتيكان هذه الشهادات ـ التاريخية والمعاصرة ـ على هذه الحقائق.. قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم فرية الانتشار بحد السيف؟!..

وإذا كان الرجل قد جهل هذا التراث الشرقي القديم .. والحديث .. والمعاصر .. فلماذا تجاهل الكتابات الغربية الحديثة التي أنصفت الفتوحات الإسلامية .. وأعلنت أن الانتشار الإسلامي إنما تم سلمًا ، بل وحتى دون وجود "مؤسسة دعوية تبشيرية" تقوم على نشر الإسلام !..

لقد قال "جورج سيل" [١٦٩٧ - ١٧٣٦ م] ـ وهو مترجم القرآن إلى الإنجليزية ـ : " لقد صادفت شريعة محمد ترحيبا لا مثيل له في العالم .. وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعا عظيما".

* وقال العلامة "سير توماس أرنولد": " إن الفكرة التي شاعت أن السيف كان العامل فى تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق .. إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى .. ولقد قيل إن "جستنيان" [٤٨٣- ٥٦٥ م] ـ الإمبراطور الروماني ـ أمر بقتل مائتي ألف من القبط فى مدينة الإسكندرية، وإن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء.

وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التى لم ينعموا بها من قبل ذلك بقرن من الزمان .. ويظهر أن حالة القبط في الأيام الأولى من حكم المسلمين كانت معتدلة نوعا ما.

وليس هناك شاهد من الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين . . بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حين كانت الإسكندرية ـ حاضرة مصر وقتئذ ـ لا تزال تقاوم الفاتحين ، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد ذلك بسنين قليلة.." .

* بل وأثبت هذا العلامةـ سير توماس أرنولد ـ أن المسيحية الغربية هي التي انتشرت بالسيف والعنف !! .

ـ فقد فرض "شارلمان"[٧٤٢ - ٨١٤م] التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحد السيف .

ـ وفي الدانمرك استأصل الملك "كنوت" [Cnut ٩٩٥ . ١٠٣٥م] الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب.

ـ وجماعة إخوان السيف Bretheren of Sword وغيرهم من الصليبيين، الذي أدوا رسالتهم بالسيف والنار في تنصير الروسيين الوثنيين .

. ولقد فرض فرسان Ordo Fratram Miliuechris المسيحية على شعب ليفونيا فرضا .

ـــ وفي ١٦٩٩م وجـــه "فـــالنتين" Valentyn إلى رجـــوات Rajas جزيـــرة أمبوينـــا Amboyna مرسوما يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعميدهم إذا ما طاف بهم راعي الكنيسة . . وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجباري محل الدعوة الهادئة إلى "كلمة الله".

ـ وفي فيكن Viken (القسم الجنوبي من النرويج) كان الملك "أولاف ترايجفيسون" Olaf [trygvesson٩٦٣- ١٠٠٠م] يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو بنفيهم وتشريدهم .. وبهذه الوسائل نشر الدين في "فيكن" بأسرها.

. ووصية القديس لويس [١٢١٤ – ١٢٧٠ م] تقول: "عندما يسمع الرجل العامي أن الشريعة المسيحية قد أسيء إلى سمعتها، فإنه ينبغي ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه، الذي يجب أن يطعن به الكافر فى أحشائه طعنة نجلاء" !

ـ وفي المجر أرغم الملك "شارل روبرت" جميع رعاياه . من "الباشغردية" ـ بعد ١٣٤٠ م على اعتناق المسيحية ـ بعد أن كانوا مسلمين ـ أو مغادرة البلاد .

. وفي ١٧٠٣ م أباد الأسقف ـ الحاكم ـ "دانيال بيتروفتش" D. petrovich في الجبل الأسود جميع المسلمين الذين لم يتحولوا عن الإسلام إلى المسيحية .. في ليلة عيد الميلاد ! .

ـ وفي روسيا فرض ملكها "فلاديمير" Vladimir٩٨٨م النصرانية على جميع رعاياه . سادة وعبيدا .. أغنياء وفقراء ـ فسيقوا جميعا إلى التعميد بمجرد اعتناق الملك للمسيحية .. ولم ينفتح باب الحرية الدينية فى روسيا إلى ١٩٠٥م ! . . وكانت عقوبة التحول عن المسيحية التجريد من الحقوق المدنية، والسجن ـ مع الأشغال الشاقة ما بين ثماني وعشر سنوات !

ـ وفي الحبشة جعل الملك "سيف أرعد" [١٣٤٢ـ ١٣٧٠ م] الإعدام عقوبة للمسلمين الذين يرفضون التحول إلى المسيحية .. أو النفى من بلادهم ! .. وكذلك صنع ملكها "جون" الذي أجبر ١٨٨٠م ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد! .. كما أجبر نصف مليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية! .

***

فأي الدينين ـ الإسلام . . أم المسيحية ؟ ـ هو الذي انتشر بالسيف يا عظيم الفاتيكان وتلك هي الشهادات الغربية التي تحكى ـ بالوقائع ـ كيف كانت العقلانية هي سر انتشار الإسلام ؟ وكيف كان السيف هو أداة انتشار المسيحية .. وخاصة فى أوروبا .. وفي موطنك ـ بروسيا ـ على وجه التحديد كان السيف والنار أداة نشر المسيحية من قبل جماعة "إخوان السيف" ! .. أي أن أجدادك ـ يا عظيم الفاتيكان ـ قد أجبروا على اعتناق المسيحية بالإكراه . . وتحت تهديد السيف والنار!.

فهل يجوز لمثلك ـ أو لغيرك ـ مع هذه الشهادات الغربية الادعاء بأن الإسلام قد انتشر بالسيف . . ونسبة هذا " الوهم والافتراء" إلى نبي الرحمة . . رسول الإسلام . . محمد عليه الصلاة والسلام ؟ !..

***

* ثم . . لمَ لمْ يتفكر ويتعقل عظيم الفاتيكان ـ وهو دارس ومدرس للفلسفة الإغريقية ـ كيف يجتمع انتشار الإسلام بالسيف مع بقاء كل المذاهب والكنائس النصرانية والكنس اليهودية ـ وحتى الديانات الوضعية ـ فى الشرق الإسلامي وفي الدولة الإسلامية عبر تاريخ الإسلام ؟ !

لقد صدر عن "المعهد الوطني للدراسات الديموجرافية" ـ في فرنسا الكاثوليكية ـ كتاب [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامي العربي والتركي] ليثبت ـ بالحقائق والأرقام والإحصاءات ـ أن نسبة المسلمين بين رعية الدولة الإسلامية وشعوبها ـ في مصر والمشرق العربي وفارس ـ بعد قرن من الفتوحات الإسلامية وقيام الدولة الإسلامية، لم تتعد ٢٠% من السكان !!.. فأين كان هذا

السيف الإسلامي الذي يزعمون أنه كان السبيل لانتشار الإسلام؟ .. والذي يفترونه على رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام ؟! .

إن وقائع التاريخ الإسلامي وحقائقه ـ وهى وقائع وحقائق . . وليست نظريات ـ تقول:

* إن الدعوة الإسلامية قد مكثت بمكة ثلاثة عشر عاما ـ أي أكثر من نصف عمر هذه الدعوة ـ يتحمل أهلها كل صنوف العذاب والتعذيب والحصار والفتنة فى الدين، دون أية مقاومة مادية لهذا العذاب والتعذيب . . بل إن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم كان يدعو للذين ينزلون به وبالمؤمنين هذا العذاب فيقول : "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون" !! .

* وإن الهجرة الإسلامية من مكة إلى المدينة ـ_ وكذلك الهجرات التي سبقتها إلى الحبشة ـ كانت تهجيرا قسريا واضطراريا ، وإخراجا من الديار ـ وليست خروجا طوعيا ـ وإنها قد تقررت وتمت عندما بلغ التآمر الوثني ذروته، بقرار ملأ قريش وصناديد الشرك أن يسجنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يقتلوه، أو يخرجوه من وطنه (وإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) [الأنفال: ٣٠] .. وجميعها خيارات تعني "الإعدام" .. فالسجن إعدام معنوي . . وكذلك الإخراج من الديار إعدام بالحرمان من المجال الحيوي للحياة !

* وإن الدولة الإسلامية ـ تحت القيادة النبوية ـ إنما مارست القتال دفاعا عن الدين ضد الذين فتنوا المسلمين في دينهم (والْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ) [البقرة: ١٩١] ، وضد الذين استفزوا المسلمين فأخرجوهم من ديارهم .. والإخراج من الديار معادل للقتل والإعدام (ولَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ) [النساء: ٦٦].

ولذلك، جاء الإذن بالقتال صدا للعدوان الذي مارسه المشركون، ورفعا للظلم الذي وقع بالمسلمين المظلومين (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) [الحج: ٣٩،٤٠] .. بل وانحصر هذا القتال الإسلامي فى صد هذا العدوان على الدين والوطن فقط لا غير (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الَذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً واللَّهُ قَدِيرٌ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ (٨) إنَّمَا

يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وظَاهَرُوا عَلَى إخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ومَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[الممتحنة : ٧ – ٩].

* وفى هذا القتال الدفاعي . الذي دارت أغلب معاركه حول "المدينة" عاصمة الدولة الإسلامية . دفاعا عن الدين والوطن ضد المشركين . الذين زحفوا للعدوان عليهما . سن الإسلام دستورا أخلاقيا للقتال . قبل أربعة عشر قرنا من معرفة البشرية لمواثيق أخلاقيات القتال . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اغزوا باسم الله، فى سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله [أي من المشركين المعتدين . لا تغلّوا [أي لا تخونوا] ولا تغدروا، ولا تمثلوا [أي لا تمثلوا ببدن الخصم بعد قتله] ولا تقتلوا وليدا " ، "ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والولدان" رواه مالك في "الموطأ" .. ومسلم في الصحيح.

ولقد صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق [٥١ ق. هـ . ١٣هـ / ٥٧٣- ٦٣٤م] هذا الدستور لأخلاقيات القتال فى وصاياه العشر لقائد جيشه "يزيد بن أبى سفيان" [١٨هـ / ٦٣٩ م] وهو ذاهب إلى الشام لتحرير أرضها وشعبها من الاستعمار الروماني، فقال له :

"إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذروهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له . . وإني موصيك بعشر:

١ . لا تقتلن امرأة..

٢ . ولا صبيا..

٣ . ولا كبيرا هرما..

٤ . ولا تقطعن شجرا مثمرا..

٥ . ولا تخربن عامرا..

٦ . ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة..

٧ . ولا تحرقن نخلا..

٨ . ولا تفرقّنه ..

٩ . ولا تغلل..

١٠ ـ ولا تجبن .. " رواه مالك في "الموطأ" .

الفاتيكان والإسلام (١٢)

بقلم : د. محمد عمارة : بتاريخ ٢١ - ١٠ - ٢٠٠٧

جاء الإسلام رافضا فلسفة "الصراع" فى حل المشكلات .. لأن الصراع يفضي إلى أن يصرع الطرف القوي الطرف الضعيف، وينفرد بالميدان، فتطوى صفحة التنوع والتعدد والاختلاف، التي جعلها الإسلام سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل . . واختار الإسلام سنة "التدافع" بدلا من سبيل "الصراع" .. والتدافع حراك اجتماعي يعدل المواقف، ويعيد التوازن إلى العلاقات، مع الحفاظ على سنة التنوع والتمايز والتعدد والاختلاف (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إِنَّنِي مِنَ المسْلِمِينَ (٣٣) ولا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) [فصلت: ٣٣ ، ٣٤].

وفي إطار "فلسفة التدافع" السلمي ـ لا "الصرع القتالي" ـ عرض الإسلام على الشرك الوثني فتح الأبواب لحرية الدعوة إلى الدين ـ كل دين ـ (قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) ولا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينِ (٦)) [الكافرون: ١ : ٦] ، (وقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن ومَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) [الكهف : ٢٩].

وفي إطار هذه الفلسفة، قسم الإسلام الشرك والمشركين إلى ثلاثة أقسام :

١ . المشركون المحايدون: الذين لم يحددوا موقفا من الإسلام . . لأنهم لم يعرفوا حقيقته .. وهؤلاء لهم حقوق المعرفة والعلم . . وحرية اتخاذ الموقف الذي يريدون (وإنْ أَحَدٌ مِّنَ المشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ) [التوبة: ٦].

٢ـ والمشركون المعاهدون للمسلمين : الذين لم ينقضوا عهودهم ولم يغدروا بما عاهدوا عليه .. وهؤلاء لهم الوفاء بالعهود والعقود (إلاَّ الَذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً ولَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلَى مُدَّتِهِمْ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المتَّقِينَ) [التوبة : ٤].

٣ . المشركون الذين نقضوا عهودهم مع المسلمين: واعتدوا على المؤمنين .. وفتنوهم فى دينهم .. وأخرجوهم من ديارهم .. وهؤلاء هم . فقط . الذين مارس المسلمون ضدهم القتال الدفاعي لرد العدوان .. فهؤلاء هم الذين (لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاًّ ولا ذِمَّةً وأُوْلَئِكَ هُمُ المعْتَدُونَ) [التوبة : ١٠].. (أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وهَمُّوا بِإخْرَاجِ الرَّسُولِ وهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [التوبة: ١٣].. (وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ولا تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المعْتَدِينَ) [البقرة: ١٩٠] .. (الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ والْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ واتَّقُوا اللَّهَ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ المتَّقِينَ) [البقرة: ١٩٤].

* ومع هذا الموقف الإسلامي الرافض "لفلسفة الصراع" والداعي إلى "التدافع السلمي" ، تميز الإسلام بجعل القتال الاستثناء .. وليس القاعدة والضرورة التي تقدر بقدرها ، بل وجعله الاستثناء المكروه! (كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ) [البقرة: ٢١٦] وأكدت السنة النبوية هذه الحقيقة، بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله" رواه الدرامي.

كما سن سنن التواضع لله . . والصفح والعفو فى ذروة لحظات الانتصار على الأعداء الذين امتلأ تاريخهم مع الإسلام والمسلمين بالإساءات والثارات . . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح الأكبر ساجدا لله على راحلته !!.. وقال لأهلها يومئذ [٨ هـ / ٦٢٩ م] . وكثيرون منهم لا يزالون على شركهم . : "اذهبوا فأنتم الطلقاء"!! ..

* ومع كل هذه الفلسفات الإسلامية التي حكمت علاقات الدعوة الإسلامية بالآخرين . . ومع هذه الضوابط الأخلاقية التي حكمت القتال الدفاعي الذي اضطر إليه المسلمون دفاعا عن الدين والوطن . . بل وبسبب كل ذلك . . فإن ضحايا جميع الغزوات التي حدثت على عهد الدولة النبوية . وهى عشرون غزوة وسرية .. فى تسع سنوات . لم يتجاوزوا [٣٨٦] قتيلا من الفريقين : قتلى المشركين .. وشهداء المسلمين!! ..

بينما بلغ ضحايا الحروب الدينية فى أوروبا بين الكاثوليك . سلف عظيم الفاتيكان ! ـ وبين البروتستانت عشرة ملايين ، وفق إحصاء الفيلسوف الفرنسي "فولتير" [١٦٩٤ . ١٧٧٨م] ، أي ٤٠% من شعوب وسط أوروبا !!..

إن حقائق الدراسة الميدانية لضحايا جميع الغزوات الدفاعية . في عهد النبوة . لتبدد ذلك الوهم الكبير الذي يتحدث أصحابه عن انتشار الإسلام بالسيف.. وها هو جدول هذه الغزوات .. وتعداد ضحاياها الذين لا يبلغون تعداد حادث من حوادث المرور في بلد صغير !!..

رقم الغزوة عدد قتلي المشركين عدد شهداء المسلمين تاريخ الغزوة ملاحظات

١. بعث عبد الله جحش ١ . سنة ٢ هـ

٢. غزوة بدر ٧٠ ١٤ سنة ٢ هـ

٣ . غزوة السويق . ٢ سنة ٢هـ

٤. بعث كعب بن الأشرف ١ . سنة ٣ هـ

٥. غزوة أحد ٢٢ ٧٠ سنة ٣هـ

٦. غزوة حمراء الأسد ١ . سنة ٣ هـ

٧ . بعث الرجيع . ٧ سنة ٣ هـ

٨ . بعث بئر معونة . ٢٧ سنة ٣ هـ

٩. غزوة الخندق ٣ ٦ سنة ٥هـ

١٠ . غزوة بني قريظة ٦٠٠ . سنة ٥هـ هؤلاء قتلوا بالتحكيم جزاء الخيانة ، فلا يحسب عددهم في ضحايا القتال.

١١. بعث عبد الله بن عتيك ١ . سنة ٥هـ

١٢ . غزوة ذي قرد ١ ٢ سنة ٦ هـ

١٣ . غزوة بني المصطلق . ١ سنة ٦هـ

١٤ . غزوة خيبر ٢ ٢٠ سنة ٧هـ

١٥ . غزوة وادي القرى . ١ سنة ٧ هـ

١٦ . غزوة مؤتة . ١١ سنة ٨هـ

١٧ . فتح مكة ١٧ ٣ سنة ٨هـ

١٨ . غزوة حنين ٨٤ ٤ سنة ٨ هـ

١٩ . غزة الطائف . ١٣ سنة ٨ هـ

٢٠ غزوة تبوك . . سنة ٩هـ

المجموع ٢٠٣ ١٨٣ المجموع الكلي من الجانبين ٣٨٦

فأين هذا السيف الذي يتحدث عنه بابا الفاتيكان .. ويقول إنه العمل السيئ والشرير واللا إنساني الذي جاء به رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ؟! وجعله أداة لنشر الإسلام!!.

* ومع كل هذه الحقائق التاريخية .. وشهادات غير المسلمين من أعلام الشرق والغرب . تاريخيا .. وحتى عصرنا الراهن . على الانتشار السلمي للإسلام .. وبسبب عقلانيته الفريدة والمتميزة .. فهلا سأل بابا الفاتيكان نفسه . وهو الخائف من انتشار الإسلام في عقر داره الأوروبية .. والخائف من تحول أوروبا إلى جزء من دار الإسلام في هذا القرن الواحد والعشرين . هلا سأل الرجل نفسه عن "السيف" الذي ينتشر به الإسلام في أوروبا هذه الأيام ؟.

إن سيوف العالم الإسلامي إما محطمة .. أو يعلوها الصدأ في الأغماد!..

وإن سيوف الحاضرة المسيحية الغربية مغروسة في الكثير من رقاب المسلمين !..

وإن أرض الإسلام تنتشر فيها عشرات القواعد العسكرية الغربية!..
وإن البحار والمحيطات الإسلامية تحتلها الأساطيل الحربية الغربية ..!
ومع كل هذه الغيبة لسيوف الإسلام .. وكل هذا الطغيان لسيوف الغرب حتى على أرض الإسلام .. تنفتح القلوب والعقول ـ في عقر دار البابا ـ أمام الإسلام !..
هكذا يصنع الإسلام اليوم .. وهكذا كان صنيعه في التاريخ.. وهكذا سيصنع غدا ـ بإذن الله ـ يا عظيم الفاتيكان!.

الفاتيكان والإسلام (١٣)

د. محمد عمارة : بتاريخ ٢٢ - ١٠ - ٢٠٠٧
الفرية الثالثة التي افتراها عظيم الفاتيكان على الإسلام وحضارته وتاريخه ، هي خلطه بين "الجهاد الإسلامي" وبين "الحرب الدينية المقدسة" ، التي عرفتها ومارستها المسيحية الغربية ضد العالم الإسلامي.. حملات صليبية دامت قرنين من الزمان {٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ ـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م}.. والتي اشتهر منها ما يقرب من ثلاثين حملة ، مثلت أولى الحروب العالمية الأوروبية التي قادتها الكنيسة الكاثوليكية ،
وسخرت فيها فرسان الإقطاع الأوروبيين ، ومولتها المدن التجارية الأوروبية لاحتلال الشرق وإعادة اختطافه من التحرير الإسلامي ، ونهب ثرواته وإقامة الكيانات الاستعمارية الاستيطانية على أراضيه .
كما مارست الكنيسة الكاثوليكية هذه "الحرب الدينية المقدسة" ضد البروتستانت {١٥٦٢ ـ ١٦٢٩م} ، وفيها اشتهرت إحدى عشرة حربا .. وأبيد فيها ـكما أشرنا ـ ٤٠% من شعوب وسط أوروبا ـ أي عشرة ملايين ـ وفق إحصاء "فولتير" (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨ م) .

كما مارست هذه المسيحية الغربية ـ كاثوليكية .. وبروتستانتية ـ هذه "الحرب الدينية المقدسة" بواسطة "محاكم التفتيش" ضد المخالفين والمفكرين والفلاسفة والعلماء .. فأبادت فيها الملايين بالخنق والإحراق والإغراق والإعدام شنقا أو على "الخازوق المقدس" طوال ثلاثة قرون !!.

يخلط عظيم الفاتيكان بين الجهاد الإسلامي وبين هذه الحرب الدينية المقدسة ، التي جعلت سفك دماء المخالفين من أعظم القربات التي يتقرب بها أساقفتهم ورهبانهم وفرسانهم إلى الرب ، ويكفرون بها عن الذنوب والآثام ! .. ويمتلكون بها "المفاتيح البطرسية" لجنات النعيم !!..

وانطلاقًا من هذا الخلط للأوراق ، يدعى عظيم الفاتيكان أن الإيمان الديني الإسلامي هو الذي يؤسس للعنف والإرهاب .. بينما كان حريًا بمن يتولى هذا المنصب الأعظم في كبرى الكنائس المسيحية .. والذي يدعى دراسة الفلسفة وتدريسها .. ويتحدث عن عقلانيته وعقلانية إيمانه .. كان حريًا به أن يعلم الحقائق البسيطة .. والمعروفة .. والصلبة ، التي تنفى هذا الخلط للأوراق.. تلك الحقائق التي تقول :

إن هناك تمييزًا ـ في الإسلام .. والقرآن .. واللغة العربية ـ بين : الجهاد .. والقتال .. والإرهاب ..

١ـ فالجهاد هو بذل الوسع واستفراغ الجهد في أي ميدان من ميادين الخير والبر والصلاح والإصلاح .. فالرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد جهاد .. وبر الوالدين جهاد .. ومقاومة النفس الأمارة بالسوء جهاد .. ومقاومة وساوس الشيطان جهاد .. وعمران الأرض وتزيينها جهاد .. وطلب العلم جهاد .. والزهد فيما في أيدي الآخرين والاستغناء عنه جهاد .. والإحسان في العمل وإلى الجيران ـ بصرف النظر عن دياناتهم ـ جهاد .. والحج والعمرة جهاد .. وحسن العشرة الزوجية جهاد .. والإخلاص في تربية الأبناء جهاد .. وإخلاص العبودية لله جهاد . ولذلك ، فإن الجهاد ـ بهذا المعنى الإسلامي العام والواسع ـ هو فرض عين على المؤمن بالإسلام ، يؤديه وفق الوسع والطاقة في أي ميدان من هذه الميادين ، التي تشمل كل ميادين البر والخير والصلاح والإصلاح في هذه الحياة .. ولهذه الحقيقة كانت المرة الوحيدة التي وصف فيها الجهاد بالكبير في القرآن تشير إلى الجهاد بالقرآن الكريم .. وليس بالسيف والقتال : { فَلا تُطِعِ الكَافِرِينَ وجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} (الفرقان : ٥٢).

٢ـ أما القتال ـ الذي هو شعبة واحدة من شعب الجهاد العديدة ـ فهو تقديم النفس والمال في القتال الدفاعي ضد الذين يعتدون على المسلمين ، فيفتنوهم في دينهم ، أو يخرجوهم من ديارهم : { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) }(الحج : ٣٩ ـ ٤٠) ، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ والْيَوْمَ الآخِرَ ومَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وبَيْنَ الَذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً واللَّهُ قَدِيرٌ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧) لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ومَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الممتحنة : ٦ـ ٩).

هذا هو حجم القتال في الإيمان الإسلامي، بالنسبة إلى عموم فريضة الجهاد .. ولهذه الحقيقة كان الجهاد ـ في الإسلام ـ فريضة دائمة وجامعة ، على كل المكلفين .. وكان القتال استثناء مكروها مفروضًا من المعتدين على الإسلام والمسلمين { كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ} (البقرة : ٢١٦) ، وكان فرض كفاية ، وليس فرضًا على الجميع.

ولهذه الحقيقة ذاتها ـ حقيقة الانحياز الإسلامي للسلام ـ كان الحجم المحدود لضحايا كل غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على امتداد سنواتها التسع ـ كما أسلفنا ـ ٣٨٦ من الفريقين ـ المسلمين والمشركين ـ حتى أننا ليمكننا القول : إن عدد البعوث التي أرسلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعليم القرآن والإسلام .. وعدد المساجد والأماكن التي هيأتها الجيوش الإسلامية لأداء الصلوات هي أكثر بكثير من عدد الضحايا الذين سقطوا في كل هذه الغزوات !! .

ولقد كان حريًا بالحبر الأعظم للفاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ أن يعي هذه الحقائق التاريخية .. وله في بلاد الإسلام وفي بلاد الغرب الكثير من الذين درسوا تاريخ الإسلام وتخصصوا فيه .

كما كان حريًا به أن يقارن عدد هؤلاء الضحايا ـ الذين انتصر بهم الإسلام على الشرك الوثني ـ بضحايا "الحروب المسيحية" ـ المقدس منها وغير المقدس . وذلك قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله بفرية الانتشار بالسيف .. والخلط بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة .
كان حريًا بالحبر الأعظم للفاتيكان أن يقارن بين رقم ٣٨٦ . ضحايا حروب محمد صلى الله عليه وسلم ـ وبين ضحايا حروب كنيسته المقدسة مع البروتستانت (عشرة ملايين) .. يضاف إليها الملايين ـ التي لا ندري عددها ـ لصراعات وحروب محاكم التفتيش.. والملايين التي أبادتها مسيحيته في استعمارها لأمريكا ـ الشمالية والوسطي والجنوبية ـ وكذلك في أستراليا ونيوزيلاندا .. مضافا إليها أربعين مليونا من الزنوج الأفارقة ، الذين أسروا واختطفوا وسلسلوا بالحديد، وشحنوا في سفن الحيوانات ، لتقوم على عظامهم ودمائهم وأرواحهم رفاهية الحضارة المسيحية الغربية !!
.. وذلك فضلاً عن ستين مليونًا هم ضحايا الحربين العالميتين اللتين شهدهما النصف الأول من القرن العشرين ـ الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م) .. والثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) .. وكذلك الحروب التي لا تزال تشنها مؤسسات الهيمنة الغربية ، وتباركها ـ أو تصمت إزاءها ـ الكنائس الغربية على امتداد عالم الإسلام . . والتي تستخدم فيها كل أنوع الأسلحة المحرمة دوليًا .. من اليورانيوم المنضب.. إلى الفسفور الأبيض .. إلى القنابل العنقودية .. إلى ما لا يعلمه إلا الله من ثمرات "العبقرية ـ الشيطانية" للفلسفة الغربية التي تخصص فيها عظيم الفاتيكان ! .

الفاتيكان والإسلام (١٤)

د. محمد عمارة : بتاريخ ٢٤ - ١٠ - ٢٠٠٧
ألم يقرأ عظيم الفاتيكان . وهو ألماني . ما كتبته العالمة الألمانية الدكتورة "سيجريد هونكة" في التمييز بين "الجهاد الإسلامي" وبين "الحرب الدينية المقدسة" في المسيحية .. والذي قالت فيه : (إن الجهاد الإسلامي ليس هو ما نطلق عليه ـ ببساطة. مصطلح الحرب المقدسة ، فالجهاد ـ كما

يذكر الألماني المسلم أحمد شميدة ."هو كل سعى مبذول ، وكل اجتهاد مقبول ، وكل تثبيت للإسلام في أنفسنا ، حتى نتمكن في هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومي المتجدد أبدًا ضد القوى الأمارة بالسوء في أنفسنا وفى البيئة المحيطة بنا عالميا.. فالجهاد هو المنبع الذي لا ينقص ، والذي ينهل منه المسلم مستمدا الطاقة التي تؤهله لتحمل مسئوليته ، خاضعا لإرادة الله عن وعى ويقين. إن الجهاد هو بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية للدفاع بردع كافة القوى المعادية التي تقف في وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في ديار الإسلام" .

واليوم ، وبعد انصرام ألف ومائتي عام ، لا يزال الغرب النصراني متمسكًا بالحكايات المختلقة الخرافية ، التي كانت الجدات يروينها ، حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد نشرت الإسلام "بالنار وبحد السيف البتار" من الهند إلى المحيط الأطلنطي. ويلح الغرب على ذلك بكافة السبل : بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة ، وفى الجرائد والمجلات ، والكتب والمنشورات ، وفى الرأي العام ، بل في أحدث حملات الدعاية ضد الإسلام.

{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} .. تلك هي كلمة القرآن الملزمة ، كما ترد في الآية السادسة والخمسين بعد المائتين من سورة البقرة .. فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي ، وإنما بسط سلطان الله في أرضه ، فكان للنصراني أن يظل نصرانيًا ، ولليهودي أن يظل يهوديا ، كما كانوا من قبل. ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم ، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك .. ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضررًا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم ، وبيعهم وصوامعهم وكنائسهم .

لقد كان أتباع الملل الأخرى . وبطبيعة الحال من النصارى واليهود . هم الذين سعوا سعيًا لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين ، ولقد ألحوا في ذلك شغفًا وافتتانًا ، أكثر مما أحب العرب أنفسهم ، فاتخذوا أسماء عربية وثيابًا عربية ، وعادات وتقاليد عربية ، واللسان العربي، وتزوجوا على الطريقة العربية ، ونطقوا بالشهادتين. لقد كانت الروعة الكامنة في أسلوب الحياة العربية ، والتمدن العربي، والسمو والمروءة والجمال .. وباختصار : السحر الأصيل الذي تتميز به

الحضارة العربية ، بغض النظر عن الكرم العربي والتسامح وسماحة النفس .. كانت هذه كلها قوة جذب لا تقاوم.

إن سحر أسلوب المعيشة العربي ذاك قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسي "فولشير الشارتى": "وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين"!. ثم راح يصور أحاسيسه وقد تملكه الإعجاب بالسحر الغريب لذلك العالم العجيب بما يعبق به من عطر وألوان ، تبعث النشوة في الوجدان ، ثم يتساءل بعد ذلك مستنكرا "أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟! بعدما أفاء الله علينا ، وبدل الغرب إلى الشرق"؟!.

بهذا انتشر الإسلام .. وليس بالسيف .. أو الإكراه) .

هلا قرأ عظيم الفاتيكان ـ وهو ألماني ـ هذا الذي كتبته العالمة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة .. وتعلم الفارق الجوهري بين "الجهاد الإسلامي" وبين "الحرب الدينية المسيحية المقدسة"؟ .. وذلك بدلاً من أن يردد ـ في القرن الواحد والعشرين ـ "حكايات الجدات الخرافية" عن انتشار الإسلام ـ من الهند إلى المحيط الأطلنطي ـ "بالنار وبحد السيف البتار"!..

* وإذا كان عظيم الفاتيكان لا يزال بحاجة إلى شهادة أوروبية تعلمه الفروق بين الحرب الدينية المسيحية المقدسة ـ حرب الإكراه على تغير العقيدة .. والتقرب إلى الله بسفك دماء المخالفين ـ وبين الجهاد الإسلامي .. فإننا نقدم إليه شهادة المؤرخ الأوربي "ميشائيل درسيرر" ، التي أوردتها العالمة الألمانية سيجرد هونكة وهى تتحدث عن ممارسة بطاركة الكنيسة الكاثوليكية .. هذه الحرب المقدسة إبان حروبهم الصليبية ضد المسلمين . . وفى مدينة القدس تحديدًا .. فقالت : (لقد أصدر كبير وعاظ الحروب الصليبية "برنارد كليرفوكس" أمره إلى المحاربين الصليبيين : "إما التنصير وإما الإبادة" !.

ووصف المؤرخ الأوروبي "ميشائيل درسيرر" مذبحة المسلمين في القدس سنة ١٠٩٩م على يد الصليبيين ، وكيف كان البطريرك نفسه يعدو في زقاق بيت المقدس وسيفه يقطر دما ، حاصدًا به كل من وجده في طريقه ، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح ، فأخذ في غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها ، مرددًا كلمات المزمور التالي : "يفرح الأبرار حين يرون

عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم ، فيقول الناس : حقا إن للصديق مكافأة ، وإن في الأرض إلها يقضي" (المزمور ٥٨ : ١٠ . ١١) ، ثم أخذ البطريرك في أداء القداس قائلاً : "إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضى الرب") .

تلك هي الحرب الدينية المقدسة ، التي مارستها الكنيسة الكاثوليكية ضد الإسلام والمسلمين .. والتي كان بطاركة هذه الكنيسة يتقربون . فيها . إلى ربهم بسفك دماء المسلمين .. والتي خلط بينها وبين الجهاد الإسلامي بابا الفاتيكان !.

***

٣. أما الإرهاب . الذي يعنى : استخدام العنف لترويع الأبرياء والآمنين والمسالمين، وذلك لتحقيق أهداف سياسية . فإنه مجرّم ومحرم في الإسلام .. بينما هو صناعة غربية ، مارسته وتمارسه الدول والحكومات .. وليس فقط الأفراد .

* لقد حرم الإسلام ترويع الآمنين ، واستخدام العنف ضدهم ، وذلك عندما وضع دستورًا أخلاقيًا حتى للحرب الدفاعية المشروعة .. حرم قتل المسالمين الذين ليسو طرفًا في العدوان والقتال .. وجاء في سنة رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم أنه "نهى عن قتل النساء والولدان" رواه مالك في (الموطأ) ..

كما صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق . كما أسلفنا . هذه القيم الإسلامية في دستور للفروسية الإسلامية ، وذلك عندما أوصى قائد جيشه "يزيد بن أبي سفيان" (١٨ هـ / ٦٣٩م) بالرفق ، ليس فقط بالآمنين والمسالمين والأبرياء .. وإنما أوصاه . أيضًا . بالرفق بالحيوان .. والنبات .. فقال له :

"إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله ، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له .. وإني موصيك بعشر : (ذكرت الوصايا في صفحة ٧٤ ونذكرها هنا مرة ثانية).

١. لا تقتلن امرأة..

٢. ولا صبيا..

٣. ولا كبيرا هرما..

٤. ولا تقطعن شجرا مثمرا..

٥. ولا تخربن عامرا..

٦. ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة..

٧. ولا تحرقن نخلا..

٨. ولا تفرقنّه..

٩. ولا تغلل..

١٠. ولا تجبن.." رواه مالك في (الموطأ) .

فأين هو هذا الإرهاب الإسلامي ، المؤسس على الإيمان الديني ، الذي زعمه وافتراه . على الإسلام والمسلمين . الحبر الأعظم للفاتيكان ؟!

* لقد وصف الرجل دفاع المقاومة اللبنانية ضد العدوان الصهيوني على لبنان . في يوليو . أغسطس سنة ٢٠٠٦م . بأنه "إرهاب" !! .. وذلك عندما أدان "الإرهاب" و"الانتقام" .. فاعتبر دفاع الضحية إرهابا .. وعدوان المعتدى . الذي استخدمت فيه الأسلحة المحرمة دوليا : اليورانيوم المنضب .. والقنابل العنقودية . مجرد انتقام من الإرهاب !! ..

* ولقد مضى على تولى البابا بنديكتوس السادس عشر منصبه في أكبر كنائس النصرانية أكثر من عام .. وهو يصمت صمت القبور على الإرهاب الغربي الذي ينطلق من الأساطير "الأصولية . المسيحية . الصهيونية" لإبادة مئات الآلاف من المسلمين في العراق .. وفلسطين .. وأفغانستان .. والشيشان .. وكشمير .. والصومال.. والسودان .. والفلبين .. وبورما .. إلخ .. إلخ .. وهو إرهاب وإبادة تمارسهما دول عظمى وكبرى ، تحركها الأيديولوجية الصليبية وجماعات اليمين الديني المسيحي.

* كما صمت ويصمت . عظيم الفاتيكان . على الإرهاب الغربي الإمبريالي . المدعوم مسيحيًا . والذي يغطي أرض كثير من بقاع العالم الإسلامي بالقواعد العسكرية وأسلحة الدمار الفتاكة .. كما يغطى البحار والمحيطات الإسلامية بالبوارج والأساطيل وحاملات الطائرات! .

فأين موقف عظيم الفاتيكان من هذا الإرهاب ؟! .. أم أن له عنده اسمًا آخر غير الإرهاب ؟!..

* وإذا كانت قدرات الرجل الفكرية قد جعلته يغوص ويعود إلى ما قبل أربعة عشر قرنًا ، ليفتري على الإيمان الإسلامي فرية تأسيسه للعنف والإرهاب .. فأين ذهب ذكاؤه ، وأين ذهبت ثقافته من "عصر الإرهاب" الذي تفتخر به الثورة الفرنسية التي قامت في فرنسا الكاثوليكية . رعية عظيم الفاتيكان . والذي يدرس في كل مدارس الدنيا كإنجاز من إنجازات الحضارة الغربية ! .. وذلك دونما إشارة إلى "إرهاب الدولة" ، الذي ابتدعه الغرب ولا يزال يمارسه ضد الآخرين حتى هذه اللحظات !..

الفاتيكان والإسلام (١٥)

بقلم : د. محمد عمارة : بتاريخ ٢٧ - ١٠ - ٢٠٠٧

هل يليق بمن هو في مكانة الحبر الأعظم للفاتيكان أن يفتري على القرآن الكريم، فيصف آياته بأنها "تعليمات أوامر اللئام"؟!!

يصنع ذلك مع القرآن الذي جاء مصدقًا لما سبقه من كل الكتب السماوية .. والذي جاء مؤمنًا بكل النبوات والرسالات { لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ } (البقرة : ٢٨٥).. والذي تحدث عن توراة موسى فقال إن فيها هدى ونورًا ..

وعن إنجيل عيسى فقال إن فيه هدى ونورًا ..

والذي جعل مريم سيدة نساء العالمين . . وآية من آيات الله

وتحدث عن المسيح عليه السلام باعتباره آية من آيات الله .. عليه السلام يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّا ..

والذي اعترف بكل شرائع أهل الكتاب .. ودعاهم إلى كلمة سواء :{ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إلاَّ اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ} (آل عمران : ٦٤).

ولم يحتكر ـ هذا القرآن الكريم ـ النجاة لأهل شريعة دون من سواهم .. وإنما فتح أبوابها لأهل التوحيد الخالص .. والإيمان بالغيب .. والعمل الصالح .. وفق أيّة شريعة سماوية صحيحة أتى بها واحد من رسل الله ـ عليهم السلام ـ {إِنَّ الَذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والنَّصَارَى والصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة :٦٢) .. ذلك أن الله ـ الذي أوحى هذا القرآن ـ {إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} (الكهف :٣٠).

فهل يليق بمنصف ـ مهما كان دينه أو كانت ثقافته ـ ينظر إلى القرآن نظرة موضوعية محايدة أن يصف هذا القرآن بأنه "تعليمات أوامر اللئام" ؟! .. كما صنع عظيم الفاتيكان؟!.

* وإذا كان الحبر الأعظم للكاثوليكية ـ بنديكتوس السادس عشر ـ قد جهل التراث الشرقي والعربي والإسلامي الذي شهد للإعجاز القرآني ، وأعلن أنه كلمة الله التي أعجزت ـ ولا تزال تعجز ـ البشر قاطبة عن أن يأتوا بشيء من مثله .. هذا التراث الذي حفظ التاريخ منه كلمات أئمة الفصاحة والبلاغة وأساطين صناعة البيان .. من مثل :

ـ "أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم" (٩٥ ق هـ ـ ١ هـ / ٥٣٠ ـ ٦٢٢م) .. وهو من زعماء قريش .. وزنادقتها .. ومن قضاة العرب في الجاهلية .. والملقب "بالعدل" لأنه كان عدل قريش كلها .. والذي شهد للقرآن الكريم ـ رغم شركه ـ عندما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو ـ في المسجد ـ سورة غافر ، فقال : "والله لقد سمعت من محمد كلامًا آنفا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن .. والله ما هو بكاهن ، فقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

ووالله ما هو بمجنون ، فقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. ووالله ما هو بشاعر، فقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بشاعر.

ووالله ما هو بساحر ، فقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولا عقده . والله إن لقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أصله لمغدق ، وإن فرعه لمثمر. وإنه يعلو ولا يعلى عليه .. وما أنتم ـ يا معشر قريش ـ بقائلين فيه من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل " .

ـ وشهادة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو وليد (٢ هـ / ٦٢٤م) ـ وهو من سادة الشرك في قريش ومكة ـ للقرآن عندما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " لقد سمعت قولا ، والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة.. ووالله ليكونن لهذا الذي سمعت نبأ عظيم" .

ـ وشهادة الدكتور طه حسين (١٣٠٦ ـ ١٣٩٣ هـ / ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م) ـ وهو أحد أبرز البلغاء في القرن العشرين .. والذين جمعوا ثقافة الغرب إلى ثقافة الشرق ـ على تفرد القرآن وعلوه على الإبداع البشرى .. عندما قال : "لقد قلت في بعض أحاديثي عن نشأة النثر عند العرب : إن القرآن ليس شعرا ولا نثرا، وإنما هو قرآن ، له مذاهبه وأساليبه الخاصة في التعبير والتصوير والأداء.

فيه من قيود الموسيقى ما يخيل إلى أصحاب السذاجة أنه شعر، وفيه من قيود القافية ما يخيل إليهم أنه سجع ، وفيه من الحرية والانطلاق والترسل ما يخيل إلى بعض أصحاب السذاجة الآخرين أنه نثر.

ومن أجل هذا خُدع المشركون من قريش ، فقالوا : إنه شعر ، وكذبوا في ذلك تكذيبا شديدا.

ومن أجل هذا خدع كذلك بعض المتتبعين لتاريخ النثر ، فظنوا أنه أول النثر العربي، وتكذبهم الحقائق الواقعة تكذيبا شديدا ..

فلو قد حاول بعض الكتاب الثائرين ـ وقد حاول بعضهم ذلك ـ أن يأتوا بمثله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يضحك ويثير السخرية" .

هكذا شهد أساطين البلاغة والفصاحة والبيان للقرآن بالإعجاز .. وعلى مر التاريخ .

* وإذا جاز لعظيم الفاتيكان أن يجهل هذه الشهادات الشرقية للقرآن الكريم بالتفرد والإعجاز .. أو أن يتجاهل الإعجاز الأكبر والأخلد للقرآن : إعجاز صناعة الإنسان السوي والمجتمع

السوي عبر الزمان والمكان . فضلا عن الإعجاز بالإنباء بالغيب .. والإشارات للإعجاز العلمي .. إلخ .. إلخ . فهل يجوز لمثل عظيم الفاتيكان أن يجهل ما كتبه علماء غربيون ، بلغات غربية عن هذا القرآن الكريم ؟! .

وهلا قرأ . قبل أن يصف القرآن بهذا الوصف الغريب والعجيب والمريب . ما كتبه عملاق الثقافة الإنجليزية الدكتور مونتجمرى وات . بعد رحلة مع القرآن والدراسات الإسلامية زادت على ثلث قرن . توّجها بحديثه عن القرآن ، الذي قال فيه : "إن القرآن ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره ، وإنما هو كلام الله وحده ، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه ، ومن هنا فإن محمدًا ليس أكثر من "رسول" اختاره الله لحمل هذه الرسالة ، إلى أهل مكة أولاً ، ثم لكل العرب ، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين .. إنني أعتقد أن القرآن ، بمعنى من المعاني ، صادر عن الله ، وبالتالي فهو وحى ..

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه ، عندما يقول : إن كلمات الله ليست نتيجة أي تفكير واع منه .. وربما كانت الملامح الأساسية للوحي يمكن اختصارها في العناصر الثلاثة الآتية :

١. أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر في عقله الواعي.

٢. وأن تفكيره الشخصي لم يكن له دور في ذلك.

٣. وأن يقينا جازما كان يتملك فؤاده أن هذه الكلمات هي من عند الله .

لقد وجد محمد الكلمات ، أو المحتوى الشفهي حاضرًا في وعيه ، فلما تمت كتابته شكّل النص القرآني الذي بين أيدينا. وكان محمد واعيا تماما أنه لا دخل لتفكيره الواعي في هذه الرسالة القرآنية التي تصله. وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعي، الأمر الذي يعني أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد .. إنه لا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية.

وفى الحوار مع الإسلام ، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمدًا لم يتلق وحيا ، وعن الأفكار الشبيهة.

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التي أوحيت إليه ، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي ؛ لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله ، وما كان لبشر أن يتحدى الله. وليس من قبيل الصدفة أيضًا أن كلمة (آية) تعني علامة على القدرة الإلهية ، وتعني أيضًا فقرة من الوحي.

وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه ، فمن الصعب أن نتصور "زيد بن ثابت" (١١ ق هـ . ٤٥ هـ / ٦١١ . ٦٦٥م) أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل .. ومن هنا فإن كثيرًا من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد صلى الله عليه وسلم نفسه .. والقرآن كان يُسَجَّل فور نزوله .

ورغم كثرة القراءات للقرآن فإن أيا منها لم تؤد إلى جنوح معاني القرآن بحيث تجعلها بعيدة عن المعاني المفهومة من القراءات الأخرى ..إن القرآن يحظى بقبول واسع ، بصرف النظر عن لغته ؛ لأنه يتناول القضايا الإنسانية ..

وإذا كان القرآن كلام الله وحده ، ورسالته إلى محمد ، فإن الكثيرين من المسيحيين لا يفترضون أن كلمات الله . في العهدين القديم والجديد . قد جلبها مصدر خارجي ممثل في ملك أو ملائكة يملونها على كُتاب الأناجيل ، وإنما يلقى في روع هؤلاء الكتاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقا ، والأنبياء الوارد ذكرهم في العهد القديم يعلنون دون تردد "هكذا يقول الرب" .. ولذا فلابد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات هو بمعني من المعاني كلمات الله حقا .. ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم في حالة نقاء لاعترفوا بالرسالة التي ألقاها الله إليهم عن طريق محمد ، تماما كما فعل ورقة بن نوفل
(١٢ ق.هـ/ ٦١١م) الذي أفادت الروايات أن استجابته كانت إيجابية لمحمد .

وإن إشارة القرآن إلى تحريف لحق اليهودية والمسيحية . وبصورتهما الموجودة على أيامه . قول صحيح .." .

تلك شهادة غربية للقرآن الكريم.. كتبها عَلَم من أعلام الثقافة الغربية.. بعد رحلة مع القرآن والدراسات الإسلامية زادت على ثلث قرن .. ومثلها كثير في دراسات العلماء الغربيين المنصفين

للإسلام .. فلماذا غابت مثل هذه الشهادات عن ثقافة "أستاذ الفلسفة" وعظيم الفاتيكان الذي تجاوز كل حدود المعقول والمقبول عند وصف آيات القرآن الكريم بأنها "تعليمات أوامر اللئام"!!

الفاتيكان والإسلام (١٦)

بقلم : د. محمد عمارة : بتاريخ ٢٨ - ١٠ - ٢٠٠٧

من الحق ـ بل ومن الواجب ـ أن يتساءل المرء عن الحد الأدنى من الموضوعية في هذا الذي افتراه بابا الفاتيكان! وأن يبحث عن قيم العدل والإنصاف التي اتفقت عليها جميع الديانات إزاء هذه الافتراءات التي افتراها الحبر الأعظم للفاتيكان على :

ـ رب العالمين ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ـ وعلى رسول الإسلام ، الذي وصفه ربه بقوله : {وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم:٤) .. والذي بعثه {رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (الأنبياء : ١٠٧) .. ونورًا وبشيرًا للعالمين.

ـ وعلى الإيمان الإسلامي .. الذي بلغ الذروة في التوحيد .. والتنزيه .. والتجريد

ـ وعلى فكر المسلمين .. وحضارتهم .. التي أنارت الدنيا .. وعلمت البشرية .. ومثلت العالم الأول على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون .

أين الحقيقة من هذا الذي زعمه وافتراه عظيم الفاتيكان ؟ .

* أم أن "الغرض : مرض" قد أصبح يعيي حكماء الفكر ونطاسي الأطباء؟! .

* أو أن "الكذب" قد أصبح "صناعة" كبرى وثقيلة تدر على "الكذبة" مليارات السُّحْت الذي به يرتزقون ؟! .. وصدق الله العظيم إذ يقول : { تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} (الواقعة : ٨٢) ..

***

* وإذا كان هذا هو حكم بابا الفاتيكان على القرآن الكريم - كتاب الله المحفوظ .. والنص المؤسس للأمة الإسلامية وثقافتها وحضارتها - فإن من حقنا أن نسأل بابا الفاتيكان ، والحبر الأعظم للكاثوليكية ، وأستاذ الفلسفة ، عن رأيه في العهد القديم - الذي يقدسه .. ويتعبد بتلاوته - رغم ما قاله فيه علماء اليهود ، من أن أغلب أسفاره لا علاقة لها بالوحي الإلهي ولا بموسى عليه السلام .. وبنص عبارة هؤلاء العلماء اليهود: "فإن هذه الأسفار المقدسة هي من طبقات مختلفة ، وعصور متباينة ، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن .. فلا ارتباط بينها ، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف.

إن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء .. وموسى لم يكتب التوراة كلها .. وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة .. ففيها ثماني مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهى :

١. لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (في سيناء) تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم.

٢. ولفائف من تعاليم الكهنة ، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع بن صادق.

٣. ولفائف أعداد الأسباط.

٤. ولفائف باعترافات الأنبياء.

٥. ومجموعات من روايات بيت داود.

٦. وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم في بابل.

٧. وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبي.

٨ . وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين (أي القرن الثاني قبل الميلاد).

.. إن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في فلسطين ، وبعد أن تحصن الأسباط في إرث استيطانهم بزمن طويل ، وإن مؤلف السفر لم يكن موجودًا على كل حال قبل عصر إشعيا (أي حوالي ٧٣٤ـ ٦٨٠ ق.م).

أما بالنسبة لسفري الخروج والعدد ، فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة ..

وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة في التوراة ، بين أنشودة موسى . الموجودة في سفر الخروج . وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد ، هي في مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية ، وأحكام قواعد الكهنة ، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات ، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة ، ومن الصعب علينا فهمها ، وفى كل الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما.. كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر منسوب إليه" .

نعم .. هذه شهادة العلماء اليهود ، الخبراء في نقد النصوص الدينية .. تقول . ياعظيم الفاتيكان . إنك تتعبد بكتاب لا علاقة له بالوحي ولا بالقداسة ، وإن علاقته بموسى أوهى من خيوط العنكبوت .. ومع ذلك فأنت تتهجم على القرآن الكريم !

* وإذا شئت . يا عظيم الفاتيكان . شهادة خبير آخر، وعالم في تحليل التوراة ، على ما فيها من تناقضات تنفي عنها الوحي والقداسة .. فإليك شهادة العالم البارز الدكتور فؤاد حسنين على . أستاذ العبرية والتراث اليهودي بجامعة القاهرة . في كتابه "التوراة : عرض وتحليل" ، والتي يقول فيها :

(إنه لا يوجد في التوراة التي بين أيدينا خبر يشتم منه أن موسى هو الذي جاء بها أو نزلت عليه ، بل على النقيض من هذا يوجد فيها ما يؤيد عكس هذا ، ومن هذه الأدلة مثلا : ما جاء في الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى ، فبعيد كل البعد كله أن يكون هذا الخبر صادرا عنه ، فقد ورد في هذه الآية : "لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا" .. وفي الآية العاشرة من الإصحاح نفسه جاء "ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى ، فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض"!

فكل هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص آخر غير موسى، كما أن هناك زمنا بعيدا بين وفاة موسى وبين تأليف التوراة التي بأيدينا.

ومن الأدلة الأخرى على ذلك ، الاختلافات والتناقضات في النص ، كاستعمال "يهوه" و(إلوهيم" ، وبعض الألفاظ الأخرى التي نعلم أن معانيها تختلف أحيانا حسب البيئة وحسب الزمن.. والتي لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد في عصر واحد":

فقصة الخلق مثلا جاءت في سفر التكوين ـ الإصحاح الأول : ٢٧ ـ وفيها : كان الإنسان آخر الخلق ، وعرض للقصة نفسها في السفر نفسه ـ الإصحاح الثاني : ٤ ـ ٢٥ ـ فكان الإنسان هو الأول ، وبعده جاءت الأشجار ، فحيوانات الحقول ، وطيور السماء .. الأمر الذي يجعل التوراة كما هي الآن وليدة عصور ونتاج عقليات متنوعة.

وقد استغلت في سبيل وضعها مصادر عديدة ، بعضها ذكر كما هو وبعضها حذف منه أو أضيف إليه.. ومن أدلة تعدد هذه المصادر الاضطرابات الموجودة في بعض القصص .. مثلا قصة الطوفان : فالآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام ٤٠ يوما و ٤٠ ليلة ، بينما نقرأ في الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع في السفر نفسه أنه دام ١٥٠ يوما.

ثم إن أقدم المخطوطات الموجودة للتوراة الحالية بينها وبين النسخة الأصلية التي كتبت عنها مدة تقرب من ألف عام، وفي هذه المدة طرأ على الكتابة العبرية شيء كثير من التغيير والتبديل) .

تلك هي شهادات العلماء الخبراء ـ من اليهود وغيرهم ـ في الكتاب الذي تقدسه وتتعبد به يا عظيم الفاتيكان..

* ويا ليتك ـ أيها الحبر الأعظم ـ قد امتلكت شجاعة البابا شنودة الثالث ـ بابا الإسكندرية والكرازة المرقسية ، أعرق وأكبر الكنائس الشرقية ـ الذي لم يتحرج من الاعتراف والإعلان عن أن هذا العهد القديم ـ المتداول في كل كنائس العالم ـ قد حذفت منه الأسفار القانونية (أسفار بصيغة الجمع.. وليس سفرا واحدا !!) .

لقد نشرت صحيفة (وطني) ـ المسيحية ـ في عددها الصادر يوم الأحد ١٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م.. أن البابا شنودة قد سئل في محاضرته الأسبوعية ـ يوم الأربعاء ١١ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م ـ عن الأسفار المحذوفة من الكتاب المقدس، وهل بذلك يكون محرفا ؟

فاعترف الباب شنودة بأن "هناك بعض الأسفار القانونية.. غير موجودة بالطبعة المتاحة بين أيدينا ، وهذا نتيجة حذفها من قبل البروتستانت الذين يقومون بطبع ونشر الكتب المقدسة" !!
.

يا ليتك يا عظيم الفاتيكان قبل التهجم على القرآن الكريم ـ المعجز والمحفوظ حفظا متفردا ـ قد امتلكت شجاعة البابا شنودة في الحديث عن كتابك المقدس (العهد القديم).

* ثم .. ألم يكن الأجدر بك ـ يا عظيم الفاتيكان ـ بدلا من التهجم على القرآن الكريم.. والافتراء على آياته ـ إلى حد وصفها بأنها : "تعليمات أوامر اللئام" ـ أن تشغل نفسك بالدفاع عن كتابك المقدس (العهد الجديد).. لا أقول ضد الكتابات الإسلامية .. وإنما في مواجهة الكتابات الغربية التي ساقت ضده عشرات الأدلة التي تنفي موثوقيته ومن ثم قداسته؟!.

إن مصدرًا غربيًا واحدا ـ هو دائرة المعارف البريطانية ـ تقول عن :

(أ) إنجيل متى : "إن كون متى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد" (٦ـ ٦٩٧).

(ب) وإنجيل مرقس : "في أفضل المخطوطات ، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعتبر عموما إضافات متأخرة، والأعداد الأخيرة ١٦ : ٩ـ ٢٠ غير موجودة في بعض المخطوطات ويوجد عوضا عنها مقاطع أقصر في مخطوطات أخرى. وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء" (المجلد الثاني ص ٩٥١ ـ ٩٥٣) (جـ) وإنجيل لوقا : "إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولا" (المجلد الثاني ص ٩٥٤).

(د) وإنجيل يوحنا ـ وهو الوحيد الذي انفرد بالحديث عن ألوهية المسيح ـ يتعارض مع الأناجيل الأخرى في كثير من الوقائع الهامة.. حتى ليقول الأسقف "بابياس" ـ المتوفى سنة ١٣٠م ـ بوجود أكثر من يوحنا.. وإن هذا الإنجيل قد كتب بواسطة حواري مجهول الاسم" (المجلد الثاني ص ٩٥٥).

كما تقول دائرة المعارف البريطانية : "إن جميع النسخ الأصلية للعهد الجديد التي كتبت بأيدي مؤلفيها الأصليين قد اختفت ، وإن هناك فاصلا زمنيا لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة سنة بين

أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته حاليا.. وإن جميع نسخ الكتاب المقدس قبل عصر الطابعة تظهر اختلافات في النصوص.. وإن مقتبسات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد، والتي تغطيه تقريبا، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفا من الاختلافات بين النصوص" (المجلد الثاني ص ٩٤١).

وإذا كانت هذه مجرد إشارة واحدة إلى نموذج واحد من نماذج المصادر الغربية التي عرضت لمدى الثقة والموثوقية في كتابك المقدس ـ يا عظيم الفاتيكان ـ أفما كان الأجدر بك ـ كما هو شأن العقلاء ـ أن تهتم ببيتك.. وأن تقدم لرعيتك ما يبعث على الطمأنينة إزاء كتابهم ، بدلا من هذا التهجم ـ غير اللائق ـ على القرآن الكريم؟! أم أننا أمام المثل العربي الشهير "رمتني بدائها وانسلت" يا عظيم الفاتيكان؟!

الفاتيكان والإسلام (١٧)

د. محمد عمارة : بتاريخ ٣٠ - ١٠ - ٢٠٠٧

إذا كان بابا الفاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ قد وصف آيات القرآن الكريم بأنها "تعليمات أوامر اللئام".. فهل لنا أن نسأله عن رأيه ـ كأستاذ للفلسفة ـ فيما جاء بأسفار العهد القديم ـ التي يقدسها ـ من فكر دموي وعنصري ، قد نسبوه إلى الله ـ تعالى عن ذلك ـ يأمر فيه بني إسرائيل بإبادة كل شيء لدى الآخرين : البشر والشجر .. والحيوانات .. هذه النصوص التي منها :

ـ " فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ». (سفر الخروج ، إصحاح ١٧ ـ ١٤).

ـ "إِنْ سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَسْكُنَ فِيهَا قَوْلا .. فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا (أي تدمرها وتبيدها بِكُلِّ مَا فِيهَا من بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ ، وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاً إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ ، لِكَيْ يَرْجعَ الرَّبُّ مِنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ، وَيُعْطِيَكَ رَحْمَةً" (سفر التثنية ، إصحاح ١٣ : ١٢، ١٥ ـ ١٧).

ـ " وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا قَائِلاً: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ .. تَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا ، وَإِنْ لَمْ تَطْرُدُوا سُكَّانَ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ يَكُونُ الَّذِينَ تَسْتَبْقُونَ مِنْهُمْ أَشْوَاكًا فِي أَعْيُنِكُمْ، وَمَنَاخِسَ فِي جَوَانِبِكُمْ، وَيُضَايِقُونَكُمْ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِيهَا ، فَيَكُونُ أَنِّي أَفْعَلُ بِكُمْ كَمَا هَمَمْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِهِمْ»." (سفر العدد ، إصحاح ٣٣ : ٥٠ ـ ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦)

ـ "وحِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ ، أَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ .. فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا بَلْ تُحَرِّمُهَا (أي تبيدها)" (سفر التثنية ، إصحاح ٢٠ : ١٠ ـ ١٦).

ـ "سَبْعَة شُعُوبٍ دَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ ـ أي تبيدهم ـ لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ.. لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ.. مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ.. لاَ يَكُونُ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ فِيكَ وَلاَ فِي بَهَائِمِكَ. وَيَرُدُّ الرَّبُّ عَنْكَ كُلَّ مَرَضٍ، وَكُلَّ أَدْوَاءِ مِصْرَ الرَّدِيئَةِ الَّتِي عَرَفْتَهَا لاَ يَضَعُهَا عَلَيْكَ، بَلْ يَجْعَلُهَا عَلَى كُلِّ مُبْغِضِيكَ.

وَتَأْكُلُ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ الرَّبُّ إِلهُكَ يَدْفَعُ إِلَيْكَ. لاَ تُشْفِقْ عَيْنَاكَ عَلَيْهِمْ" (سفر التثنية ، إصحاح ٧ : ١-٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ . ١٦).

. "هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: قُلْ لِطَائِرٍ كُلِّ جَنَاحٍ، وَكُلِّ وُحُوشِ الْبَحرِّ: اجْتَمِعُوا، تَعَالَوْا، احْتَشِدُوا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ إِلَى ذَبِيحَتِي الَّتِي أَنَا ذَابِحُهَا لَكُمْ، ذَبِيحَةً عَظِيمَةً عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ، لِتَأْكُلُوا لَحْمًا وَتَشْرَبُوا دَمًا. تَأْكُلُواَ لَحْمَ الْجَبَابِرَةِ وَتَشْرَبُوا دَمَ رُؤَسَاءِ الأَرْضِ. كِبَاشٌ وَحُمْلاَنٌ وَأَعْتِدَةٌ وَثِيرَانٌ كُلُّهَا مِنْ مُسَمَّنَاتِ بَاشَانَ ، وَتَأْكُلُونَ الشَّحْمَ إِلَى الشَّبَعِ، وَتَشْرَبُونَ الدَّمَ إِلَى السُّكْرِ مِنْ ذَبِيحَتِي الَّتِي ذَبَحْتُهَا لَكُمْ" (سفر حزقيال ، إصحاح ٣٩ : ١٧ . ١٩).

ـ "اِقْتَرِبُوا أَيُّهَا الأُمَمُ لِتَسْمَعُوا، وَأَيُّهَا الشُّعُوبُ اصْغَوْا لِتَسْمَعِ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ نَتَائِجِهَا. لأَنَّ لِلرَّبِّ سَخَطًا عَلَى كُلِّ الأُمَمِ، وَحُمُوًّا عَلَى كُلِّ جَيْشِهِمْ. قَدْ حَرَّمَهُمْ دَفَعَهُمْ إِلَى الذَّبْحِ ، فَقَتْلاَهُمْ تُطْرَحُ، وَجِيَفُهُمْ تَصْعَدُ نَتَانَتُهَا، وَتَسِيلُ الْجِبَالُ بِدِمَائِهِمْ ، وَيغنَى كُلُّ جُنْدِ السَّمَاوَاتِ .. لِلرَّبِّ سَيْفٌ قَدِ امْتَلأَ دَمًا" (سفر إشعيا ، إصحاح ٣٤ : ١. ٦) .

***

صدقني . يا عظيم الفاتيكان . إنني عندما أقارن هذا "الفكر الدموي العنصري اللاإنساني" بما جاء به المسيح عليه السلام من مثل :

. "تحب قريبك كنفسك" (رو ١٣ : ٩).

. "أحبوا أعداءكم ، باركوا لأعينكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (متى ٥ : ٤٤)

. "لا تقاوموا الشر" (متى ٥ : ٣٩)

. " لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء" (رو ١٢ : ١٩)

. "نشتم فنبارك ، نضطهد فنحتمل ، يفترى علينا فنعظ" (اكو ٤ : ١٢ . ١٣)

. "باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا" (رو ١٢ : ١٤)

ـ "غير مجازين عن شر بشر، أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مباركين، عالمين أنكم لهذا دعيتم لكي ترثوا بركة" (ابط ٣: ٩)

. "إن كان ممكنا ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس) (رو ١٢ : ١٨)

. "إن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فأسقه؛ لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه، لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير" (رو ١٢: ٢٠ . ٢١).

عندما أقارن الفكر الدموي العنصري اللاإنساني ، الذي جاء في العهد القديم ، بهذه السماحة المثالية التي أوصى بها المسيح عليه السلام.. ثم أنظر لصنيع كنيستك وأضرابها . يا عظيم الفاتيكان . في إبادة الشعوب في أمريكا .. وأستراليا .. ونيوزيلاندا.. وإفريقيا.. ولهذا الذي يصنعه الغرب . بمباركة كنائسه . من النهب الاستعماري.. والاستعمار الاستيطاني.. والاستخدام المفرط لكل ألوان الأسلحة . حتى المحرمة دوليا . ضد المسلمين وغيرهم من الشعوب المستضعفة.. أصل إلى اليقين الذي يقول . يا عظيم الفاتيكان . إنكم وكنائسكم وأقوامكم لا علاقة لكم بالمسيح عليه السلام!! .

الفاتيكان والإسلام (١٨)

د. محمد عمارة : بتاريخ ٣١ - ١٠ - ٢٠٠٧

الافتراء على الإسلام وأمته وحضارته ليس بالأمر الجديد .. فقد بدأ هذا الافتراء مع ظهور الإسلام .. وامتد على طول تاريخه .. بل إن الإسلام إنما حقق أعظم الانتصارات فى ظل تصاعد الافتراءات والتحديات .. وما انتشاره فى عقر دار الحضارة المسيحية . حضارة عظيم

الفاتيكان . مع ضعف حكومات العالم الإسلامي ، إلا الشاهد الصادق على هذه الحقيقة من حقائق هذا الدين.

* ولأن الإسلام هو الذي حرر الشرق من القهر الحضاري الروماني الذي دام عشرة قرون . . والذي مارست فيه كنيسة عظيم الفاتيكان الاضطهاد الديني للنصرانية الشرقية، على النحو الذي ذهب مثلا فى تاريخ الاضطهادات الدينية .. حتى لتؤرخ كنائس الشرق لعصر شهدائها بسنوات هذا الاضطهاد.

ولأن الفتوحات الإسلامية هي التي حررت أرض الشرق وضمائر شعوبه .. وكذلك الثروات التي مثلت أكبر لقمة في فم النهب والاستغلال الروماني الغربي ، لذلك بدأ عداء الغرب للإسلام منذ ذلك التاريخ .. واستمر حتى هذه اللحظات.

وعن هذه الحقيقة . في تاريخ مشكلة الغرب مع الشرق . يقول القائد والكاتب الإنجليزي "جلوب باشا" . جنرال جون باجوت . [١٨٩٧ – ١٩٨٦م] : "إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد"!!.

ولهذه الحقيقة أيضا كان تاريخ مؤسسات الهيمنة الغربية . الدينية .. والسياسية . هو تاريخ العمل الدائب على إعادة اختطاف الشرق من الإسلام.

فبعد القرون العشرة التي طوت الفتوحات الإسلامية صفحاتها السوداء .. عاد الغرب لاختطاف الشرق من التحرير الإسلامي، فشن عليه الحملات الصليبية التي دامت قرنين من الزمان .. فلما هزمت دول الفروسية الإسلامية هذه الحملات الصليبية، وأزالت قلاعها وكياناتها الاستيطانية من الشرق . . عاد الغرب بعد إسقاطه غرناطة [سنة ١٤٩٢] واقتلاعه الإسلام من الأندلس إلى شن هذه الغزوة الصليبية

الحديثة، فالتف حول عالم الإسلام .. واقتحم قلبه العربي بغزوة بونابرت [١٧٦٩ – ١٨٢١ م] سنة ١٧٩٨ م .. ثم استولى الغرب على مجمل ديار الإسلام فى هذه الغزوة التي مضى على بدئها أكثر من خمسة قرون .. أي أننا أمام سبعة عشر قرنا من الغزو الغربي للشرق ، فى تاريخ مكتوب تبلغ قرونه أربعة وعشرين قرنا !.

*وإذا كانت كنيسة عظيم الفاتيكان قد مارست الافتراء ـ قديما ـ على النصرانية الشرقية .. فلقد مارست هذا الافتراء وهذا العدوان على الإسلام عبر ذلك التاريخ الطويل . . ولذلك فإننا لسنا مندهشين من هذا الافتراء المعاصر ، لأنه امتداد لتاريخ طويل من الافتراءات.

* وإذا كان هناك من درس تجب الإشارة إليه فى هذا المقام الذي نواجه فيه هذا الفصل الجديد من الافتراء على الإسلام . . فهو التنبيه على حقيقة الحلف الذي جمع ويجمع الكنسية الكاثوليكية الغربية مع المشروع الإمبريالي الغربي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتصاعد الحرب الباردة بين الرأسمالية الغربية والشيوعية فى منتصف القرن العشرين ..

فتحت قيادة الإمبريالية الأمريكية الصاعدة على أنقاض الإمبراطوريات الاستعمارية الأوربية التقليدية والعتيقة ، قررت أمريكا استخدام سلاح الدين ـ كل دين ـ ومؤسساته الكبرى في معركتها ـ الباردة والساخنة ـ مع الخصوم ..

ـ لقد تحالفت مع الصهيونية ضد العرب والمسلمين . . وضد الشيوعية..

ـ ثم أنشأت "مجلس الكنائس العالمي" أو "مجمع الكنائس المسكوني" سنة ١٩٤٨ ، واستخدمته فى حربها الباردة ضد الشيوعية والمعسكر الاشتراكي .

ـ ولقد نجحت الإمبريالية الأمريكية فى ضم الكنيسة الكاثوليكية فى الحرب ضد الشيوعية والاتحاد السوفييتي . . وكان دور بابا الفاتيكان يوحنا بولص الثاني (١٩٢١- ٢٠٠٥م) فى هذا التحالف الأمريكي ـ الفاتيكاني مؤثرا وملحوظا ومشهورا .

ـ كما نجحت الإمبريالية الأمريكية فى ضم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إلى مجلس الكنائس العالمي، في ظل بابوية البابا شنودة الثالث ، بعد مقاومة قبطية شهيرة وطويلة .

ـ ولقد عملت هذه الإمبريالية الأمريكية على توظيف الإسلام فى تحقيق مصالحها الإمبريالية .. فكان حلف بغداد ـ الحلف المركزي ـ سنة ١٩٥٥ م . . وامتد هذا التوظيف حتى الجهاد الأفغاني ضد السوفييت فى ثمانينيات القرن العشرين.

* وبعد سقوط الشيوعية أوائل العقد الأخير من القرن العشرين، أعلنت الإمبريالية الغربية ـ تحت زعامة أمريكا ـ اتخاذ الإسلام عدوا أحلته محل العدو الشيوعي .. وأطلقت عليه "الخطر الأخضر" الذي حل محل "الخطر الأحمر" .

ومنذ ذلك التاريخ ، حولت الإمبريالية الأمريكية كل منظومتها المؤسساتية فى الحرب على الإسلام والمسلمين . . حتى كانت "الفرصة السانحة" عقب أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ م، التي جعلت خطابها الأيديولوجي يعلن ـ بصريح العبارة ـ أن حربها على الإسلام هي "حملة صليبية" ضد "الأشرار .. ومحور الشر" .. وضد "الفاشية الإسلامية" ! ..

لقد أعلنوا أنهم يريدون إسلاما لا علاقة له بكامل الإسلام . . يريدون إسلاما مثل النصرانية، يقف بأهله عند الشعائر والطقوس . . ويترك دار الإسلام وثروات المسلمين للقيصر الأمريكي. . لقواعده العسكرية .. وشركاته الاحتكارية العابرة للقارات والجنسيات .

ولذلك، أعلن الكاتب الصهيوني الأمريكي "توماس فريدمان" سنة ٢٠٠١ م ـ إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان ـ : "إن الحرب الحقيقية فى المنطقة الإسلامية هي فى المدارس؟ ولذلك يجب أن نفرغ

من حملتنا العسكرية بسرعة، لنعود مسلحين بالكتب، وذلك لتكوين جيل جديد يقبل سياساتنا كما يحب شطائرنا" .. أي أن الحرب الحقيقة هي في مناهج التعليم الإسلامية ، لتفريغها من روح المقاومة والجهاد ضد الغزاة .

وأعلن المفكر الإستراتيجي الأمريكي "فوكوياما": إن العالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات فى وجه واحد مهم، فهو وحده الذي وّلد تكرارا خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، ترفض

لا السياسيات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة الغربية : التسامح الديني . . والعلمانية نفسها . . ولذلك فإن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب ـ كما تظهر الحكومة الأمريكية بشكل مفهوم (!!) ـ ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية ـ الفاشية الإسلامية ـ التي تقف ضد الحداثة الغربية . . وعلى المجتمع الإسلامي أن يقرر فيما إذا كان يريد

أن يصل إلى وضع سلمى مع الحداثة الغربية، وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية"! .

***

تلك هي حقيقة المعركة.. وهذه هي مؤسساتها.

وفي هذا الإطار يجب أن ننظر إلى هذا الفصل الجديد من افتراءات بابا الفاتيكان ـ بنديكتوس السادس عشر ـ على الإسلام .. فالقضية ليست محاضرة كال فيها البابا الافتراءات للذات الإلهية .. ولرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم .. وللقرآن الكريم .. وللجهاد الإسلامي.

والقضية ليست مجرد اعتذار من الرجل للمسلمين، إذا حدث كان الهدوء والاسترخاء ..وإنما نحن أمام توظيف إمبريالي غربي ـ وأمريكي بالأساس ـ للكنيسة الكاثوليكية ضد الإسلام، كذلك التوظيف الذي تم لها في الصراع ضد الشيوعية.

لقد نجحت أمريكا في جر الكنيسة الكاثوليكية الغربية ـ في عهد البابا الراحل يوحنا بولص الثاني ـ في المعركة ضد الشيوعية.. واليوم ، وبعد إحلالهم الإسلام عدوا محل الشيوعية، يتم التوظيف للكنيسة الكاثوليكية ـ تحت قيادة البابا بنديكتوس السادس عشر ـ فى الحرب ضد الإسلام .

تلك هي الحقيقة التي يجب أن يعيها ويتعامل معها العقل الإسلامي .. فنحن لسنا أمام مجرد "سقطة فكرية" لعظيم الفاتيكان .. ولا حتى أمام "موقف أخرق" ـ على حد تعبير النيوزويك الأمريكية ـ فى التعامل مع الإسلام .. وإنما نحن أمام واحد من التحديات الكثيرة والشرسة والمتوالية التي امتلأ بها تاريخنا الطويل.

وفي مواجهة التحديات الشرسة يظهر المعدن النفيس والصلب لهذه الأمة .. هكذا علمنا التاريخ! ..

وفى مواجهة التحديات .. وحتى نواجهها وننتصر عليها، لا بد من "ترتيب أولويات العقل المسلم" .. و"ترتيب أوراق الإمكانات" التي يمتلكها المسلمون .. فبإرادة المواجهة والنهوض .. وبإدارة الإمكانات التي نمتلكها، تستجمع الأمة أسباب الصمود .. والنهوض .. والانتصار .

ولنتذكر . فى ختام هذه الدراسة . كلمات صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢- ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ – ١١٩٣م] التي كتبها إلى الملك الصليبي "ريتشارد قلب الأسد" [١١٥٧ – ١١٩٩ م] .. والتي قال فيها: "القدس إرثنا كما هي إرثكم .. من القدس عرج نبينا إلى السماء .. وفى القدس تجتمع الملائكة .. لا نفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها كأمة مسلمة .. أما بالنسبة إلى الأرض، فإن احتلالكم فيها كان شيئا عرضيا، وحدث لأن المسلمين الذين عاشوا فى البلاد حينها كانوا ضعفاء.. ولن يمكنكم الله أن تشيدوا حجر واحدا في هذه الأرض طالما استمر الجهاد" .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام" رواه الإمام أحمد ..

و"من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد" رواه الترمذي.

***

والسلام على من اتبع الهدي . يا عظيم الفاتيكان.. ؟